نصوص الإيحاء اللاهوتية فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر (مدخل للتعريف)

د. محمد عبد الفتاح السيد*

مدخل :

تمتزت الثقافة المصرية خلال العصر الروماني بخصوبة وتنوع فكري قلما نجده قائماً بهذا العمق عبر عصورها المختلفة، فقد عاصر هذا التميز انتشار واستقرار المسيحية على أرضها بكل ما تحمله من أفكار وعقائد وميل فلسفي ناضج ساعد على نمو حالة من التفكير المستمر وصلت فى بعض الأحيان إلى حد المبالغة التصورية فى الإبداعات الدينية والفلسفية. ولعل الفترة الذهبية لنمو تلك التعاليم الفكرية الفلسفية أو الدينية كانت تنحصر فيما بين منتصف القرن الأول وحتى منتصف القرن الثالث الميلادي. ولكن يجب الاعتراف بأن هناك قواعد فكرية

---

* جامعة الإسكندرية.

أساسية أسهمت فى نمو هذا التنوع العشوائي للفكر الإنساني ذى الشق الديني فى مصر خلال تلك الفترة، ولعل أبرزها ظهور قواعد التعاليم الغنوسية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة، بالإضافة إلى المناخ الذي أحدثه انتشار وشيوع التعاليم المسيحية فى حرية ثقافية لا مثيل لها بالمقارنة بمحاور وأنماط انتشارها فى العالم الروماني، فقد كان فى مصر عمق ثقافى غامض مغلف بأطر وأسرار استلزمت قاعدة فكرية لتفسيرها، وبالتالي فإن المحور الرئيسِ فى انتشار تلك القواعد الفكرية كان نمو وسائل التفسير والتفكير والمعرفة المقارنة والاعتماد على الموروث الثقافى القديم، كما أن محاولات الصراع وإثبات الذات أو الدفاع عن المذهب كانت لها أكبر الأثر فى خصوبة تلك الفترة بصفة عامة.

لكن؛ وعلى الجانب الأخر، فإن ازدهار أو نمو فكر معين أو قاعدة مذهبية دينية أو طقسية كان دائما فى حاجة إلى وجود أتباع ومؤمنين وأنصار يقتنعون ويروجون ويدافعون عن القاعدة باقتناع وإيمان، وبالتالي فإن قاعدة الأتباع كان أغلبها إما من اليهود المقيمين فى مصر، أو المصريين الذين كانوا يتمتعون بأمية شديدة وحالة مزرية من الفقر والاحتلال الروماني الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي فإن وسائل ارتباطهم بتلك القواعد الفكرية أو الدينية كان غرضه الأساسي هو الإنقاذ أو الخلاص، فكلما توفرت فى القاعدة الفكرية مجموعة من وسائل الإنقاذ أو الخلاص المادي الملموس توفر لها حجم انتشار متميز بين المصريين. إلا أن اصحاب القواعد الفكرية أو المذهبية ذات الغلاف الديني أو الفلسفي لم تكن لديهم حقيقة الخلاص الكامل، أو رؤية سلطوية، أو مساندة ملكية، أو قوة سياسية واقتصادية تساعدهم على تحقيق الخلاص الكامل الذي ينشده العامة، لذا جاء أغلبه مغلفا بأطار نظري بحت، بل كان أصحابه أيضا معرضين لحالة من الفقر وخاضعين بصورة كاملة لمفهوم الاحتلال الروماني الشامل، لذلك جاءت وسائل جذبهم للعامة مقترنة بالبحث عن وسائل الإنقاذ الذاتية النابعة من تطوير الفكر الإنساني للعامة تدريجيا، فعلي سبيل

المثال، جاء الاستشهاد الديني فى الفكر المسيحي المبكر وسيلة للخلاص مدعمة بوسائل إيحائية جعلته أمرا مرغوبا فيه، بل ومطلوبا أيضا خلال فترة الاضطهادات الرومانية للفكر المسيحي. ولكن هذا الفكر قد يحتاج لنوعية معينة من البشر يقتنعون به ويؤمنون بفكره الأقرب للانتحار، أما الباقون فقد خضعوا للتعذيب أو الارتداد. وبالتالي ظهر تطور تدريجي أخر للخلاص يتمثل فى (الاستشهاد الأبيض) أو الهروب نحو الزهد والتقشف وحياة الرهبنة فى الصحراء بعيدا عن وسائل التعذيب الاجتماعي تحت الحكم الرومانى، تلك الوسيلة تم تقنينها دينيا وعقائديا حتى تدعم العقيدة المسيحية فى مصر، التى أصبحت صاحبة الريادة فى وضع تقنين لمفهوم الرهبنة القائمة على فكرة الخلاص والإنقاذ.

لكن، ومن ناحية ثالثة، فقد مالت- على سبيل المثال- القاعدة الفكرية الغنوسية[١] للفكر المسيحي الحر فى مصر إلي تناول العقيدة المسيحية من خلال وسائل إنقاذ قائمة على أبعاد فكرية غامضة، وكم من الأسرار والإيحاءات التى لاقت رواجا كبيرا فى المجتمع المصري آنذاك، ويبدو أن عنصر الغموض

---

(١) تعد أهمية النصوص الغنوسية التى عثر عليها فى نجع حمادي فى تناول تفسير النصوص الإيحائية فى غاية الأهمية لانها حفظت لنا تقريبا أغلب نصوص إيحاء العهد الجديد مثل: إيحاء أو رؤية يوحنا- إيحاء يعقوب الأول والثاني-إيحاء بولس، بالإضافة إلى نصوص متعددة تحمل الرؤية الإيحائية مثل: أطروحة على الإحياء- ونص التراكتات الثلاثة- هيبوستيس الأرخون- نص صوفيا والسيد المسيح- نص إسكليبيوس- وحوار المنقذ. وبالتالي فإن الباحث فى تلك المخطوطات الغنوسية يكتشف عمق الرؤي الإيحائية المستخدمة فى التحدث بصفة عامة عن أمور غيبية وكونية وفكر سماوي بعيد عن قدرات البشر العقلية. سوف نتحدث بإستفاضة عن تلك النصوص والرؤية الغنوسية فى كتابة ومناقشة أمور النص الإيحائي. عن الغنوسية بصفة عامة راجع:
Foerster, W., Gnosis, (Oxford.1972) I.34-36, 59; Chadiwck. H. The Early Church. (Baltimore 1973) 27-30; DECL, = Dictionary of Early Christian Literature, (New York: The Crossroad Publishing, 2000)590-591;Grant R.M., Gnosticism: A Sourcebook of Heretical Writings from the Early Christian Period (New York: Harper and Brothers, 1961)143-161; Grant R.M.,Gnosticism and Early Christianity (Rev. ed.; New York: Harper and Row, 1966) 128-142.

والإيحاءات الأسطورية المغلفة بطابع إيماني كانت تحدد للمواطن المصري المقفر مسارا لمستقبله الغامض الذي كان دائما بحاجة لمعلمين وعارفين ببواطن الأمور، فلا يستطيع الجهل والفقر والذل أن يدعم فكراً مستقبلياً للفرد فى تلك الفترة، وبالتالي ترك المواطن المصري مهمة التفكير والبحث والمعرفة لهؤلاء العارفين، الذين بدورهم انتهزوا تلك الفرصة واستغلوها بجدارة منقطعة النظير، وأصبحوا العارفين الغنوسين الذين تلقوا الوحى الإلهي من الرب مباشرة أو من المسيح كوسطاء روحانيين قد جاءوا لإنقاذ البشرية عن طريق المعرفة، فعملوا على تطوير وسائلهم المادية والروحية وحققوا انتشارا كبيرا فى مصر ربما استمر حتى بداية القرن السادس الميلادي.

على أية حال نحاول من خلال تلك المقدمة توضيح نوعية المناخ الثقافي فى مصر خلال الفترة المبكرة من انتشار المسيحية، والذي سوف نتناول جانبا منه فى هذه الدراسة والمتعلق بمناقشة أهمية نصوص الإيحاءات اللاهوتية المقدسة[١] فى

---

(١) تناول تفسير وتعريف نصوص الإيحاء فى الكتاب المقدس بصفة عامة مجموعة كبيرة من العلماء اليهود والمسيحيين. وسوف نشير هنا إلى قائمة محدودة من تلك المراجع والأبحاث التى استخدمت فى البحث مع الإضافة المستمرة فى الصفحات القادمة.

Robert A., Kraft, "The Pseudepigrapha in Christianity," (in Tracing the Threads: Studies in the Vitality of Jewish Pseudepigrapha ed. John C. Reeves; SBLEJL= Society of Biblical Literature Early Judaism and Its Literature 6; Atlanta: Scholars Press, 1994), 55-86; Robert A., Kraft, "The Pseudepigrapha and Christianity Revisited: Setting the Stage and Framing Some Central Questions," (JSJ= Journal for the Study of Judaism, in the Persian, Hellenistic and Roman Period 32 2001) 371-395. Sjef van Tilborg, The Danger at Midday: Death Threats in the Apocalypse, (Biblica 85 2004) 1-23; Cohn, N., Cosmos, Chaos and the World to Come: The Ancient Roots of Apocalyptic Faith. (New Haven, 1993); Ginzberg, L., 'Some Observations of the Attitude of the Synagogue towards the Apocalyptic -Eschatological Writings', (JBL= Journal of Biblical Literature, 41-42 1922-23)115-136; Collins, John J. "Apocalyptic Eschatology as the Transcendence of Death." (The Catholic Biblical Quarterly 36.1 1974): 21-43; Collins, John J. " Jewish Apocalyptic against its Hellenistic Near Eastern Environment." (Bulletin of he American Schools of Oriental Research 220 Dec. 1975): 27- 36; Collins, John J. "Cosmos and Salvation: Jewish Wisdom and Apocalyptic in the Hellenistic Age." (History of Religions 17.2 1977)121-142.

الثقافة المصرية فى تلك الفترة، من خلال البحث عن تلك الأهمية فى منهجية الفكر المسيحي ومنهجية الفكر الغنوسي، وهو الإيحاء الذي سوف يسهم فى حدوث تقارب وتنافر وعلاقة مضطربة بين الفكرين ربما حتى الأن بعد اكتشاف كنز نجع حمادي الذي كان بحق بوابة كبيرة ومصدراً ثميناً للتعرف على استراتيجية الصراع الثقافي فى تلك الفترة وأثره المباشر فى تحديد ثقافة المواطن العادي، وكذلك انعكاس هذا الأثر على الجانب الفني فى مصر الذي يعد من المصادر الباقية لدينا حتى الأن.

تعريف النص الإيحائى اللاهوتى :

تعد كلمة (إيحاء) فى الأصل تعبيرا جديدا مرتبطا بالمصطلح اليوناني القديم (ابوكاليوبسيس) Ἀποκάλυψις الذي يعني (كشف الأسرار والغموض عن الشئ، أو رفع الحجاب عنه).[١] ولكن هذا المصطلح لم يكن له ضروة أو أهمية دينية أو فلسفية فى الثقافة الكلاسيكية اليونانية القديمة، ولكنه وجد طريقه نحو الاهتمام الديني عند اليهود الناطقين باليونانية فى العالم الهللينيستي القديم، وربما ذلك كان فى أعقاب دخول الإسكندر الأكبر فى المنطقة الشرقية خلال القرن الرابع قبل الميلاد. ومن الجائز أن المصطلح عثر على ركيزته الفكرية أثناء الصراعات المذهبية

---

(١) كلمة إيحاء من أصل يوناني ἀποκαλυψις تعني كشف، أول من استخدم تلك الكلمة هو فريدريك لوقا G. C. Friedrich Lücke وهو عالم لاهوتي مسيحي استخدم الكلمة فى تفسير رؤيا يوحنا عام ١٨٣٢ من الكلمات الافتتاحية للرؤيا والتى تشير إلى apocalpyse (نبوءة) السيد المسيح التى أعطاها ليوحنا والتى تقول:Ἀποκάλυψις Ἰησοῦ Χριστοῦ ، وقد أطلق علي العمل ككل لقب Αποκαλυψις Ιωαννου. حول أطر التعريف باستفاضة راجع بعض أعمال Collins, John التى تعد من المراجع المحايدة فى التعامل بين النصوص المسيحية واليهودية:

Collins, John J., 'The Place of Apocalypticism in the Religion of Israel', (in, Patrick D. Miller, Ancient Israelite Religion, Essays in Honor of Frank Moore Cross, Fortress, Philadelphia 1987) 539-558. Collins, John J., 'The Genre Apocalypse in Hellenistic Judaism', (in, D. Hellholm, Apocalypticism in the Mediterranean World and the Near East, Tuebingen 1989) 531-548.

التى ازدهرت فى المجتمع الدينى اليهودي خلال القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد ومنه وجد المصطلح طريقه إلى المسيحية التى أسهمت بدور كبير فى تطويره والاهتمام به حتى أصبح عنصرا من عناصر ثقافتها الدينية عبر العصور.

والإيحاء بصوره مبسطة هو أحدي الوسائل الخاصة، إما لتفسير أو وصف أو تحقيق رؤية ليست مادية، وغير معروفة للفكر الإنساني، كما أنه وسيلة لتبسيط أمور معقدة فكريا على العامة، فيمكن من خلال الإيحاء استخدام أمثلة سهلة للوصول لفكر العامة حول موضوع ديني أو فكرة فلسفية معقدة. وفى ذات الوقت يمكن للإيحاء أن يسير نحو العكس تماما، فيمكن له إضفاء كم من الغموض أو الأسرار الكونية غير المعلومة إلا للعارفين ببواطن الأمور والمعلمين ودرجة الكهنوت، وهم بدورهم لا يستغنون عن استخدام هذه المنهجية الإيحائية[١] للحفاظ على درجة خصوصيتهم الدينية على المستوي الشعبي. ولكن يمكن تفسير المصطلح بالطريقة المباشرة بأنه رؤية إلهية خاصة ببشر، تعبر بهم حاجز الإتصال الإلهي– الإنساني الذي تفوق قدرة إستيعابه القدرات البشرية المعتادة، ويعد هذا التفسير أصلياً إذ ما تناولناه من منطلق أصله فى إيحاءات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وكتابات الأبوكرافيا والأناجيل الغنوسية، هنا يصبح لمصطلح (أبوكاليبسيس) Ἀποκάλυψις أهمية كبري تنطوي على قدرة ثقافية إبداعية روحانية متميزة لأصحاب تلك الأعمال التى تعتمد على منهجية الإيحاء بصفة أساسية، ولكن سوف يكون الأصل فى تفسير المصطلح هنا أنه تعين أدبي مرتبط بالنص مباشرة

---

(١) حول المناهج التفسيرية فى تناول نصوص الإيحاء Apocalyptic Literature methodological راجع:

Kraft, Robert A. "The Pseudepigrapha in Christianity." (In, Tracing the Threads: Studies in the Vitality of Jewish Pseudepigrapha, Edited by John C. Reeves. SBLEJL 6. Atlanta: Scholars Press, 1994) 55-86; Kraft, Robert A.,"The Pseudepigrapha and Christianity Revisited: Setting the Stage and Framing Some Central Questions." (JSJ 32 2001) 371-395; Collins, John J. "Methodological Issues in the Study of I Enoch (Reflections of the Articles of P. D. Hanson and G. W. Nickelsburg." SBLSP13 1978) 315-22.

وبالكاتب وعمق ثقافته ومصادره ولغته وقدرته الفكرية والخيالية والأسطورية، وهى رؤية قد نزيد عليها عمق التأثير الخارجي للنص على الرؤية الثقافية التابعة لانتشار تلك النصوص وممارستها فى مصر خلال الفترة المسيحية المبكرة.

مصادر الإيحاء الديني فى العصر المسيحي المبكر :

قد تبدو عملية البحث عن مصادر قديمة تحقق النص الإيحائي مسألة شائكة جدا فى محاولة حصر تلك المصادر المباشرة وغير المباشرة، وتبدو أولي الصعوبات متصلة بالصراع النصي بين اليهودية والمسيحية من خلال الاعتراف ببعض النصوص وتكذيب البعض الأخر، كما أن مشكلة صحة النص الديني وتعديله وصحة ترجمته من اللغة الأصلية إلى اليونانية واللاتينية قد تركت أثارها الواضحة فى هذا الصراع. فى حين نجد أن عناصر الاعتراف بوحدة الكتاب المقدس بعهديه كانت سبيلا للعثور على مصدر أولى لتحقيق مفهوم الإيحاء فى العهدين القديم والجديد، قد تبدو ضرور التطوير والتغيير فى روح تفسير النص– وليس فى النص ذاته– مسألة مهمة فى تكيف النصوص الدينية بصورة دائمة لتواكب روح العصر الجديد ومتغيراته. ولكن بعيدا عن الأوضاع الشائكة حول صحة النصوص الدينية الإيحائية والتى تم مناقشتها كثيرا، يمكن مجازا تحقيق مصادر الإيحاء الديني فى مجموعة من العناصر التى شاركت فى تكوين النسيج الثقافي فى مصر خلال العصر المسيحي المبكر، وقد تم تقييمها فى هذه الدراسة على أساس أن النص معترف به كنص إيحائي (بصرف النظر عن الاعتراف به كنص مقدس فى التوراة أو الكتاب المقدس المسيحي)، وأن يكون قد عثر على نماذج منه فى مصر، أو أن يكون كتب أصلا فى مصر، أو أن يكون ضمن الأعمال الغنوسية التى مارست فكرها فى مصر.

أولاً : مصادر العهد القديم (الإيحاءات اليهودية) :

فسر البعض أصل الإيحاء اليهودي بمفهوم التطور الطبيعي للأدب اليهودي الوطني، فعلي الرغم من كونه صورة متأثرة بالأفكار الدينية الأجنبية والدراما الأسطورية الإغريقية، إلا أنه كان شديد الخصوصية بالمجتمع التوراتي، وأقرب لمفهوم التراث الشعبي الباحث عن مميزات دينية تفوق عاداته وتقاليده حتى داخل الناموس اليهودي[١]. ويمكن استعراض نصوص الإيحاء اليهودي فيما يلي: (إيحاء دانيال)[٢] الذي يرجع تقريبا إلي الفترة ما بين ١٦٠– ١٦٥ق.م، وهو من أقدم الإيحاءات اليهودية المعروفة لدينا. وقد كتب النص باللغتين العبرية والكلدانية. يضاف إليه تسبحة الفتية الثلاثة فى النار في الإصحاح الثالث. وقصة سوسنة العفيفة فى الاصحاح الثالث عشر. قصَّتيّ الصنم بال والتنين فى الإصحاح الرابع.

---

(١) يعتمد الإيحاء اليهودي على خصوصية وطنية الطابع تخص اليهود أنفسهم ومستقبلهم ومشكلاتهم الخاصة بالأمور الدينية، لذلك فإن المثال الأول المعروف لدينا هو إيحاء يهودي لكتاب دانيال (منتصف القرن الثاني قبل الميلاد) وهو يمثل بداية متميزة فى ثقافة الإيحاء، حيث اعتبر المصدر الأول والمرجع الأقدم فى نصوص ومنهجية الإيحاء اليهودي وكذلك المسيحي. عن مصادر الإيحاء اليهودي راجع:

Baldwin, G.,"Is there Pseudonymity in the Old Testament?" (Themelios 8 1978b) 6-12; Collins, John J., "Apocalyptic Eschatology as the Transcendence of Death." (The Catholic Biblical Quarterly 36.1 January 1974) 21-43; Collins, John J., "Jewish Apocalyptic against its Hellenistic Near Eastern Environment." (Bulletin of he American Schools of Oriental Research 220 Dec. 1975) 27-36; Collins, John J. "Cosmos and Salvation: Jewish Wisdom and Apocalyptic in the Hellenistic Age." (History of Religions 17.2 1977)121-142.

(٢) دانيال هو أحد أنبياء اليهود ورد ذكر له فى سفر حزقيال أكثر من مرة (حز١٤:١٤و٢٠؛ ٢٨:٣) ويقول البعض أنه هو نفسه "دانيال" النبى صاحب سفر دانيال الذي وصفه حزقيال في سفره بأنه "حكيم وسرٌ ما لا يخفى عليه" (حز٢٨:٣). راجع:

Vassiliev's Anecdota Graeco-Byzantina (Moscow, 1893)38-44; Uncanonical Books of the Old Testament (Venice, 1901), 237,387; Phillips, J., Exploring the Book of Daniel, (Kregel Academic & Professional 2004) 7-10; Albright, W. F. "The Nebuchadnezzar and Neriglissar Chronicles," (BASOR= Bulletin of the American Schools of Oriental Research 143 1956)28-33; Archer, Gleason L. "The Hebrew of Daniel Compared with the Qumran Sectarian Documents," (in, The Law and the Prophets. Edited by J. Skilton 1974) 470-486; Archer, Gleason L, "Modern Rationalism and the Book of Daniel," (Bibliotheca Sacra 136 1979)129-47.

(إيحاء أينوخ)[١] الذي يحتمل رجوع أصوله إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وقد كتب بالآرامية أو العبرية، وهو من النماذج المتكاملة فى تحقيق مفهوم الإيحاء من خلال التعامل المباشرة مع أسرار العالم غير المرئي، وتفسير الظواهر الطبيعية وتأريخ العالم، والبحث عن المستقبل، والتنبوء بظهور المملكة المسيحية (التى تمثل أضافة على النص اليوناني فى نهاية القرن الأول الميلادي).

(فرضية موسي)[٢] وهو نص غير مؤكد إلا فى الكتابات اليهودية، ويحتمل أن تكون أصوله مكتوبة باللغة العبرية، ولكن أول اكتشاف حديث ومحتوي غير متكامل له كان بواسطة (يوسف سميث) عام ١٨٣٠-١٨٣١م والذي أضاف بعض

---

(١) يعتمد كتاب إيحاء إينوخ ضمن كتب التوراة المزورة، وهو مؤرخ تقريبا فى الفترة ما بين ١٦٠-١٥٠ قبل الميلاد، والنسخة الوحيدة الباقية لدينا مكتوبة باللغة الأثيوبية حيث يُشكّلُ كتابُ إينوخ جزءً من الشريعةِ الرسميةِ للكنيسة الأثيوبية، وهناك مخطوط أخر باللغة العبرية يرجع إلي القرنين الخامس والسادس الميلاديين وأيضا مشكوك فى صحته، وأثبت أنه النص الذي أشار إليه كل من اريانوس Irenaeus وكليمنت السكندري، بالإضافة إلى أجزاء يونانية (En. 89:42 -49، مخطوطة Vaticanus) وجزءين منفصلينِ من ترجمة لاتينية. أجزاء من أوراق بردي يونانيةٍ عثر عليه في Akhmim ونَشرت بعد في ١٨٩٢. كما عثر على سبعة أجزاءٍ مِنْ كتاب إينوخ باللغة الآرمية في كهفِ قمران بالبحر الميت. حول إيحاء إينوخ راجع:

1 Enoch: A New Translation, (translated by George W.E. Nichelsburg and James C. VanderKam. Minneapolis Fortress Press, 2004) 3-6; Bampfylde, G., The Similitudes of Enoch. (Historical Allusions, JSJ= Journal of Asian Studies 15 1984)9-31; Black, M., A Bibliography on 1 Enoch in the Eighties, (JSP= Journal for the Study of the Pseudepigrapha 5 1989)3-16; Newsom, Carol A., The Development of 1. Enoch 6-19, (CBQ= Catholic Biblical Quarterly 42 1980)310-329.

(٢) إن فرضيةَ موسى (تسمي وصيّةَ موسى) وهو عمل يهودي مزوّر مجهولِ التأريخِ والتأليفِ. معروف مِن ضمن مخطوطة ترجع إلي القرن السادسِ باللغة اللاتينيةِ اكتشفها أنطونيو Ceriani في مكتبةِ Ambrosian في ميلان في منتصف القرن التاسع عشرٍ ونَشرت بواسطته عام ١٨٦١. راجع:

Barth, Christoph, Diesseits und Jenseits im Glauben des späten Israel, (Stuttgart 1974 SBS= Stuttgarter Bibelstudien 72), 41-42; Collins, John J., Testaments, (in, Stone, Michael Edward, Jewish Writings of the Second Temple Period: Apocrypha, Pseudepigrapha, Qumran Sectarian Writings, Philo, Josephus, Assen / Philadelphia 1984), 325-355,344-349.355.

التغييرات والتصحيحات للمصادر القليلة التى عثر عليها وكانت تحتوي على نصوص نبؤة موسي. ولكن طبقا لمحتوي النص المنشور من قبل (سميث) والمقبول حاليا فى العقيدة اليهودية يحتمل عودة أصوله إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد أو بداية القرن الأول الميلادي، والنص يحاول إيجاد علاقة مباشرة ومميزة أخري بين الرب وموسي تجعل الأخير يطلع على أسرار العالم المستقبلية لبني أسرائيل.

(إيحاء إسدراس الثاني)[١]، ليس معروفاً أصل لغته ولكنها على الأرجح أرامية، وهو من الكتب التوراتية المزورة، ويحتمل أن يكون قد كتب حوالي نهاية القرن الأول الميلادي، أعلن عنه فى ٩٠م، وهو يصنف كإيحاء يهودي– مسيحي معا، الا أنه مستخدم مسيحيا حتى الآن فى الكنيسة القبطية، وهو منسوب إلى النبي إسدراس Προφήτης Ἔσδρας والبعض ينسبه ويسمية إيحاء النبي عزرا[٢] Ἔσδρα النسخة المستخدمة حاليا جاءت من أصول أرمية، يقال أنها ترجمت عن النص اليوناني. الفصل الأول والثاني من النص يحتمل أن يكون تأريخهما متأخرا قد يصل إلى القرن الثالث الميلادي لانهما يحتويان على معاقبة الرب لليهود لصالح

---

(١) كتاب إيحاء إسدراس الثاني هو من الكتب المعترف بها فى الكنيسة الأورثوذكسية فقط، بينما بعض نصوصه تعتبر مزورة عند اليهود والكاثوليك والبروستانت، كتب تقريبا باللغة الآرمية، وهناك ترجيحات أن يكون أصله باللغة العبرية تقريبا حولي نهاية القرن الأول الميلادي.

Bloch, Joshua. "Some Christological Interpolations in the Ezra Apocalypse."(HTR=Harvard Theological Review 51 1958) 87-94. Bergren, Theodore A. "Christian Influence on the Transmission History of 4, 5, and 6 Ezra." (In, The Jewish Apocalyptic Heritage in Early Christianity, by James C. Vander Kam and William Minneapolis, Minn.: Fortress, 1996) 102-127; Esler, Philip F. "The Social Function of 4 Ezra." (JSNT= Journal for the Study of the New Testament 53 1994) 99-123.

(2) Mueller, James R. "A Prolegomenon to the Study of the Social Function of 4 Ezra." (SBLSP 20 1981) 259-68; Kraft, Robert A. "'Ezra' Materials in Judaism and Christianity." (ANRW= Aufstieg und Niedergang der römischen Welt, 19. 1, 1979) 119-36.

المسيحيين[١]، بينما بقية النص عبارة عن سبع رؤي للنبي عزرا يطلب من الرب توضيح بعض المسائل الخاصة بخلاص اليهود من عقابه ونقمه عليهم، ويسأل عن عذاب اليهود فى بابل، وعن طردهم، ويسال أيضا لماذا لا تمتلك أسرئيل العالم. ثم يتحول النص إلى الأطار الرمزي فى الرؤي الأخيرة، والتى تاتي متأخرة عن رؤي دانيال واينوخ، ثم الأمر الإلهي لعزرا بإعادة جمع الكتاب المقدس والمكون من أربعة وتسعون كتاباً: أربعة وعشرون منها معروفة، وسبعون منها كتب سرية لا يعلمها إلا الرسل والأنبياء.

(سفر باروخ)[٢] أو إيحاء Baruch النسخة الباقية حاليا، كتبت باللغة السريانية ربما عن أصل يوناني يرجع إلى القرن الثاني الميلادي، ولكن هناك أراء تذهب لأصول كتبت بالأرامية أو العبرية، أما كاتب الإيحاء هو (باروخ بن نيريل بن معسيا). وقد كتب رؤيته في بابل بعد السبي وخراب أورشاليم. وقد نسب إلى باروخ الإصحاحات الخمسة الأولى من النص، بينما الإصحاح السادس والأخير فقد كتبه النبي إرميا. ومن المعروف أن باروخ كان يعمل كاتباً للنبي إرميا وصدّيقا له،

---

(1) Lee I. Levine, The Jewish Patriarch (Nasi) in Third Century Palestine, (ANRW. 19. 1, 1979) 648-688; Bloch, Joshua. "Some Christological Interpolations in the Ezra Apocalypse." (HTR 51 1958) 87-94. Hayman, A. P. "The Problem of Pseudonymity in the Ezra Apocalypse." (JSJ 6 1974) 47-56.

(٢) إيحاء باروخ Baruch هو نصّ يهودي مزوّر ضمن نصوص، كتب في القرن الأول الميلادي، تقريبا بعد دمار معبد أورشاليم فى عام ٧٠ ميلادي، هو لا يمثل جزء فى الشريعة التوراتية اليهودية أو المسيحية. كما عثر عليه فى نسختين سريانية ويونانية. وحاليا هو جزء من الكتب الاستشهادية للنبؤات المسيحية فقط، ويستخدم كمحاولة لإثبات عقاب الرب.

Daniel C. Harlow, The Greek Apocalypse of Baruch (3 Baruch) in Hellenistic Judaism and Early Christianity (Leiden/New York: Brill, 1996); Bauckham, R., "Early Jewish Visions of Hell," (JTS 41 1990) 355-385, Hobbins, J. F. "The Summing up of History in 2 Baruch." (JQR= Jewish Quarterly Review 89 1998) 45-79.

ويحتمل أن يكونا قد اشتركا معا فى رسالتهما[١]. ويحتوي النص على قسمين، الأول: يتحدث عن الأحداث والأهوال التى حدثت ليهود السبئ البابلي، كما أنه يحمل نبؤات تحذير على طاعة الرب والعقاب والانتقام الإلهي لبنى إسرائيل، وهو يوضح كيف أن بني إسرائيل أخطأوا ضد الرب فاستحقّوا قضاءه بالانتقام منهم وخضوعهم تحت يد البابليين، ولكنه يتنبأ بأنهم إذا تابوا وأطاعوا الرب ورجعوا إلى الثواب والحكمة والابتعاد عن الشياطين وعبادتها، فسوف يعودون إلى أرضهم مرة أخرى ويبقي الرب معهم إلى الأبد. أما الجزء الثاني فهو يحتوي على الإصحاح السادس باسم "رسالة النبى إرميا" ويتضمَّن الرسالة التي بعث بها أرميا بيد باروخ إلى اليهود فى بابل. وفيها يوضح النبي فساد عبادة الأوثان ويحذرهم من السجود للأصنام. وفي الرسالة أيضاً يتنبَّأ النبي عن أن السبي في بابل سوف يستمر "سبعة أجيال "أي سبعين سنة" وبعد ذلك سوف يخرجكم الرب بسلام[٢].

(وصايا الآباء الإثنا عشر)[٣] Testaments of the Twelve Patriarchs وهى نصوص مختلف على أصولها ومتهمة بتحريفها لصالح المسيحية، وهى تحتوي

---

(1) Kirschner, Robert. "Recent Developments in the Study of the Syriac Apocalypse of Baruch." (JSP= Journal for the Study of the Pseudepigrapha 4 1989) 3-17. Leemhuis, Fred. "The Arabic Version of the Apocalypse of Baruch: A Christian Text?" (JSP 4 1989) 19-26.

(2) Leemhuis, Fred. "The Arabic Version of the Apocalypse of Baruch: A Christian Text?" (JSP 4 1989) 19-26; Licht, Jacob. "An Analysis of Baruch's Prayer Syr. Bar. 21." (JJS= Journal of Jewish Studies 33 1982) 327-31; Nickelsburg, George W. E. "Narrative Traditions in the Paralipomena of Jeremiah and 2 Baruch." (CBQ 35 1973) 60-68.

(٣) تعد وصايا الأباء الإثنا عشر من النصوص الإيحائية التى ارتبطت فى الأصل بالعهد القديم، فهى لا تزال جزء من نصوص التوراة الأرمية، وتشمل مجموعة الأوامر المختصرة التى ذكرت من الأبناء الإثنا عشر أبناء النبي يعقوب، النصوص ملفقة ومنسوبة لأبناء يعقوب، ويعتقد أن أصولها كتبت باللغة العبرية من قبل الفريسيين فى الفترة من ١٠٩-١٠٥ ق.م.

Michael E. Stone, "Testament of Naphtali," (JJS=The Journal of Jewish Studies 47 1996) 311-21; Marinus de Jonge, "The Main Issues in the Study of the Testaments of the Twelve Patriarchs," (in Jewish Eschatology, Early Christian Christology and the Testaments of the Twelve Patriarchs, Leiden: Brill, 1991) 147-163.

على مجموعة من الوصايا الخاصة بالأبناء الأثنا عشر أبناء النبي يعقوب. هناك احتمالات تؤرخ النصوص بالقرن الأول قبل الميلاد فى محاولة لإيجاد البعد اليهودي فى فحوي النص، ولكن هناك تعديلات أضيفت أو حذفت من النص عندما ترجم لليونانية وأرخ بنهاية القرن الأول الميلادي. التعديلات المسيحية فى النص ناقشت مفهوم المجئ الثاني وهو المفهوم المرفوض من قبل اليهود وهو ما نجده فى الأجزاء الإيحائية لوصايا ليفي التى عثر علي أجزاء منها فى برديات من الجيزة.[١]

(حياة آدم وحواء)[٢] Life of Adam and Eve وهو نص إيحاء معروف ضمن أعمال النص المعدل الخاص (بفرضية موسي) أو إيحاء موسي، ويحتوي على بعض الإيحاءات الخاصة بالرؤية المستقبلية فى الجنة والنعم الإلهية من خلال استعراض قصة أدم وحواء فى الجنة، مع التأكيد على مسألة الخروج من هذا النعيم الأزلي بسبب عصيان أوامر الرب والتحالف مع الشيطان، يتعامل هذا النص مع

---

(١) تعد وثيقة إيحاء ليفي من الوثائق التى عثر عليها الأجزاء من القاهرة (فى الجيزة تقريبا) وتضمن رؤي عن السماوات السبع، والملائكة السبعة، كما احتوي النص على نبؤءة العمر المسيحي.

James R. Davila, (How) Can We Tell if a Greek Apocryphon or Pseudepigraphon has been Translated from Hebrew or Aramaic?, (JSP= Journal for the Study of the Pseudepigrapha 15.1 2005) 6-9; Jonge, H. J. de "The Earliest Traceable Stage of the Textual Tradition of the Testaments of the Twelve Patriarchs," (in, Studies on the Testaments of the Twelve Patriarchs: Text and Interpretation, Leiden: Brill, 1975) 63-86.

(٢) إيحاء حياة آدم وحواء من النصوص اليهودية المزورة pseudepigraphical يحتمل كتابته الأصلية فى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي باللغة الآرمية، ولكن الترجمة التى وصلتنا جاءت مرتبطة بنص فرضية موسي باللغة اليونانية وتتحدث القصةُ بعد منفى وسقوط آدم وحواء من جنة عدن وحتى موت آدم وبعد ذلك موت حواء.

Halford, M.E.B. "The Apocryphal Vita Adae et Evae: Some Comments on the Manuscript Tradition." (Neuphilologische Mitteilungen 82 1981) 417-27; Levison, John R. "The Exoneration of Eve in the Apocalypse of Moses 15-30." (JSJ 20 1989) 135-50; Levison, John R.Texts in Transition: The Greek Life of Adam and Eve. (Atlanta, Ga.: Society of Biblical Literature, 2000) 5-10.

مجموعة من الرموز التى ثبت بها بعض المفاهيم الإيحائية التى استخدمت فى العقيدة المسيحية مثل الثعبان (الشيطان)، الشجرة المباركة (عطاء الرب)، شجرة المعرفة – شجرة تين، توبة أدم على نهر الأردن (قد توازي معمودية المسيح بواسطة مياة نهر الأردن). ولكن عموما النص يحتمل أن تكون لغته الأصلية هى العبرية ثم ترجم لليونانية التى وصفها التلمود اليهودي بكونها تحتوي على مجموعة أساطير آدم وحواء التى تخدم العقيدة المسيحية الجديدة، وليست مستوحاة من لغتهم الأصلية بالكامل، بل تحتوي على تغيرات إيحائية تتعلق بالبحث عن أسباب العقاب الإلهي والخروج من الجنة ومقومات العودة مرة أخري. وبالتالي فإن الإيحاء بالهبوط من الجنة أو من السماء فى الصورة الجسدية والصعود فى الهيئة الروحية كان جانبا مهما من مناقشات الإيمان المسيحى الذي كان يعاني فى تلك الفترة المبكرة من قصور فى تفسير القيامة والظهور الإلهي والتجسد والمجي الثاني، ولكن النص فى النهاية يعد من كتب التوراة المزورة وتأريخه غير معلوم ولكن يحتمل أن يكون فى القرن الثاني الميلادي.

(إيحاء أدم الغنوسي)[١] The Apocalypse of Adam، إكتشف إيحاء آدم في عام ١٩٤٥ كجزء من مخطوطات مكتبة نجع حمادي الغنوسية. ويحتمل أن يؤرخ النص الأصلي بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني على أساس ما أشار إلية إبيفانس (Epiphanius Haer.39-40) حيث نجده ضمن نصوص الطقوس الدينية المسيحية–الغنوسية فى مصر، وبصفة خاصة فى طقوس المعمودية. النص الحالي

(١) إيحاءَ آدم الغنوسي The Apocalypse of Adam يقع فى الإنجيل الخامس من الأناجيل الغنوسية، وهو مكون من خمس تراكتات (مقاطع) يشرح موقف أدم فى أواخر أيامه تقريبا فى العام ال٧٠٠ من عمره، وهو يشرح لابنه شيث تجربته مع الرب وكيف تعلم المعرفة الحقيقية منه ودور حواء فى تلقي المعرفة.
Hedrick, C.W., "The Apocalypse of Adam: A Literary and Source Analysis," (Society of Biblical Literature Seminar Papers 1972), 581-590; Bentley Layton, The Gnostic Scriptures: A New Translation with Annotation and Introductions(New York: Doubleday, 1987) 52-64 (under the title "the Revelation of Adam").

مدون باللغة القبطية ويحتمل أنه مترجم عن أصل يوناني ويرجع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. الإيحاء يفيد مفهوم انتقال الرسالة وتسليم الراية من الأب إلى الأبن، بين أدم وشيث، ولكن فى ضوء تسجيل معلوماتي كامل عن خلق الأرض، ومراحل الخلق، علاقة أدم وحواء بالرب قبل وبعد الخطيئة، والأرواح الشريرة، والتنبؤ بحدوث الفيضان (فيضان نوح) الذي يعد مثل المعمودية الأولي لتنظيف الأرض من الأشرار فيما عدا من يحصدوا بذور شيث التى ورثها عن المعرفة الأصلية من أدم وحواء وهى طاعة الرب الكاملة. وفى ختام الوثيقة هناك وصية تنقل من شيث عبر أجيال من المؤمنين به والعارفين بأسرار السماء والمضطلعين على المستقبل وهم بدورهم ينقلونها للمعلمين الغنوسين أصحاب المعرفة الحقيقية فى الاتصال الإنساني – الإلهي فى تلك الفترة. وعلى الرغم من عدم احتواء النص على التأثيرات المسيحية المميزة إلا أنه يمثل نوعا من التدعيم الثقافي للغنوسيين أثناء طرح أفكارهم عبر المجتمع المصري.

(صعود أشعيا أو رؤية أشعيا)[1] Ascension of Isaiah يعد من الكتب المزوّرة غير المعترف بها، يشمل ثلاثة أجزاء مختلفة، تبدو وكأنها وجدت منفصلة؛ واحدة

---

(١) يعد نص صعود السيد المسيح المنسوب لأشعيا من النصوص المزورة التى ترجع فكرا ونصا وتأثيرا إلى القرن الثاني الميلاي، فقد اجمع العلماء على أنها ليست منسوبة لأشعيا ولكنها ملفقة لعالم لاهوتي مسيحي مجهول. النَص عثر عليه فى ثلاثة مخطوطات باللغة الأثيوبية ويرجع إلى حوالي القرونِ من الخامسِ وحتى السابعة، لكن هناك أجزاء منه باللغتين القبطية واليونانية . عنوان العملَ الحاليَ "صعود السيد المسيح أشعيا". في العصر القديمِ، حيث أشارَ إليه إبيفانس Epiphanius أيضاً بهذا العنوان (في اليوناني: Τὸ Ἀναβατικὸν Ἡσαΐου)، كما أشار إليه جيروم (فى اللاتينية Ascensio Isaiæ)، راجع:

Epiphanius (Haer. xl. 2); Jonathan Knight, The Ascension of Isaiah, Guides to Apocrypha and Pseudepigrapha, (Sheffield 1993) 12-17; Wilhelm Schneemelcher, ed, New Testament Apocrypha (Louisville: John Knox Press, 1992)603-620; Blank, Sheldon M., "The Current Misinterpretations of Isaiah's She'ar Yashub," (JBL= Journal of Biblical Literature, LXVII 1948), 211-215. Blank, Sheldon M, "Immanuel and Which Isaiah?" (JNES=Journal of Near Eastern Studies, XIII 1954), 83-86; Eaton, J. H., "Origins of the Book of Isiah," (VT= Vetus Testamentum, IX 1959), 138-157.

خاصة بالعقيدة اليهودية، وإثنان مرتبطان بالعقيدة المسيحية، كتب النص الأصلي باليونانية، وهناك نماذج عبرية وآرامية ولاتينية، وسلافية، ونسخة أثيوبية. والعلاقات بين هذه الأجزاء وبعضها معقّدة جدا لاختلاف مفرادات الترجمة والتعديلات المسيحية فيها. بينما نجد العنصر الإيحائي فى النص يرتبط برحلة النبي أشعيا خلال السموات السبع حيث يشير النص إلى قصة مقتل أشعيا بواسطة اليهود وصعود روحه بواسطة الملائكة عبر السموات السبع[١]، ورؤيته لتاريخ المسيح، ونبؤته بقدوم المسيح كمنقذ للمؤمنين من اليهود. التأريخ المحتمل لمكونات النص تقريبا النصف الثاني من القرن الأول الميلادي.

(إيحاءات نصية من كتاب حزقيال)[٢] Ezekiel، وقد يعطي كتاب حزقيال تفاصيل صغيرة حول حياته، ولكن الرؤي الإيحائية لديه كانت بارعة، حتى أنها أصبحت نماذج ثابتة فى العقيدة المسيحية وبصفة خاصة ما أشار إليه فى وصف العرش الإلهي، والعربات النارية التى تحفها الملائكة المجنحة، واختيار التضحية بنفسه بدلا من عبادة الأصنام، وإحياء الموتى. (وغيرها من العناصر الرمزية سوف نشرحها بالتفصيل فى البعد الفني فى هذا البحث).

---

(1) Wilhelm Schneemelcher, ed, New Testament Apocrypha (Louisville: John Knox Press, 1992) 603-620

(٢) يعد كتاب حزقيال أحد أكثر الكتب الآدبية الدينية الأصلية المقدّسِ فى العقيدة التوراتية. فقد كتب حزقيال كتابه تقريبا في الـ٢٥ السنة بين ٥٩٣ إلى ٥٧١ قبل الميلاد. القسم الأول كتب فى الفترة من ٥٩٣ إلى ٥٨٦ قبل الميلاد. القسم الثاني كتب فى الفترة من ٥٨٦ إلى ٥٧١، وميزّاته الرئيسية تأتي من التركيبة المنظّمَة والمتجانسَة لأبعاد النص الذي يقترب من مفهوم الإيحاء الإلهي. راجع:

Carley, K.W., The book of the prophet Ezekiel (Cambridge University Press.Cambridge 1974)17ff; Levey, Samson H.. The Targum of Ezekiel. (Michael Glazier, Inc. Wilmington Delaware. 1987) 21ff; Klein, Ralph W. Ezekiel: The prophet and his message. (University of South Carolina Press.1988) 18ff; James, M. R., "The Apocryphal Ezekiel." (JTS 15 1913-14) 236-43; Bauckham, R. "The Parable of the Royal Wedding Feast (Matthew 22:1-14) and the Parable of the Lame Man and the Blind Man (Apocryphon of Ezekiel)" (JBL 115 1996) 471-88.

(إيحاء إبراهيم)[1] 'Apocalypse of Abraham'، وهو نص منسوب للنبي إبراهيم موجود فقط فى المخطوطات السلافية القديمة، ومن المحتمل تأريخ النص الاصلي بالفترة من ٨٠-١٠٠م وكتب فى الأصل بالعبري، وهو من النصوص المعروفة فى الكنيسة القديمة وترجم من العبرية إلى اليونانية، وفى السنوات الأخيرة عثر على ترجمات قبطية وأثيوبية وسلافية للنص. يعد النص وكأنه ملخص لحياة وإيمان ومعاناة النبي أبراهيم، منذ بداية تخلصه من عبادة الأصنام وحتى موته، وهى مرفوضة لكون إبراهيم لم يعبد الأصنام قط، ولكن مفاهيم الإيمان فى القرن الأول والثاني الميلاديين زمن كتابة النصوص كانت فى حاجة لتدعيم مفاهيم التحويل من عبادة الأصنام إلى المسيحية. ويعتمد النص على عناصر الإيحاء المثبتة فى (سفر التكوين ١٥) من قبل والتى تتعلق برفع إبراهيم بواسطة الملائكة إلى السماء لكي يعرفه الرب على مستقبل شعب إسرائيل، ورؤيته للجنة والأنهار السماوية. ثم حادث التضحية بإسحاق والفداء وموكب الملائكة القادمين من السماء يبلغون الفداء ويدعمون طاعة الأمر الإلهي والصبر عليه. ومن بين الرموز التى دعمت مسألة الإيحاء فى النص دور الملاك ميخائيل بوصفه الحامي والحارس لشعب إسرائيل، وبالتالي تأتى اللقطة المهمة فى تعريف ميخائيل للنبي إبراهيم وتبشره بمجئ المسيح المنتظر، كما يتضمن الإيحاء لقاء النبي إبراهيم بالشيطان أثناء التضحية وتغلبه عليه.

---

(١) كتاب مزور، نشر للمرة الأولى (كامبردج، ١٨٩٢)، James M. R. The Testament of Abraham: The Greek Text Now First Edited with an Introduction and Notes. (Cambridge: CUP, 1892)، في نصين منقحين مختلفين باللغة اليونانية، ويحتوي الكتاب على قصةَ موت النبي إبراهيم، وهو عمل يهودي يضم وصية إبراهيم، من المحتمل أن يكون الأصل قد كتب فى مصر، وهو مؤرخ بنهاية القرن الأول الميلادي.

Rubinkiewicz, R., "La Vision de l'histoire dans l'Apocalypse d'Abraham" (ANRW II.19.1. 1979) 137-51; Rubinkiewicz, R., "Les sémitismes dans l'Apocalypse d'Abraham" (Folia Orientalia 21 1989) 141-48; Rubinstein, A., "Hebraisms in the Slavonic 'Apocalypse of Abraham'" (JJS= Journal of Jewish Studies 4 1953) 108-15; Rubinstein, A., "A Problematic Passage in the Apocalypse of Abraham"(JJS 8 1957) 45-50.

هناك أيضا مصادر للإيحاء منسوبة إلى العهد القديم مثل (إيحاء إيليا)[١] The Apocalypse of Elijah الذي صور رؤية للعالم المستقبلي ووصف المسيح المنتظر، وخصمه المسيخ الدجال، الذي جاء قبل وصول المسيح المنتظر وسوف يخضع له العالم ويضطهد إسرائيل. هذا الوصف يعد ميزّة تقليدية فى أغلب الإيحاءات العبرية الجديدة التى كتبت فى مصر للتصدي إلى الطبيعة الإلهية التى غلفت الكتابات المسيحية المبكرة ولا سيما بعيدا عن أورشاليم. وهو في شكله الحالي، يعد من الكتب اليهودية المزورة التى استغلها الفكر المسيحي لإثبات وجود وحقيقة نبوءاته، ويحتمل أنه كتب فى مصر ومؤرخ بالقرن الثالث الميلادي. أيضا هناك (إيحاء صفنيا)[٢] Sophonias وهو مصنف ضمن الكتب المزورة أيضا ولدينا أشارات قليلة

---

(١)يعد كتاب إيليا (Ἠλίας Elijah Elias إلياس فى العربية) من الكتب المزورة اليهودية – المسيحية، وقد عثر عليه فى صورتين (أليجه ١ وأليجه ٢) النص الأول عثر عليه بالقبطية من أخميم ومؤرخ بنهاية القرن الرابع الميلادي، ومن المحتمل أن يكون النص قد كتب ضمن العقيدة التوراتية فى القرن الأول قبل الميلاد باللغة العبرية فى مصر، حول النص راجع:

Frankfurter, D., Elijah in Upper Egypt: The Apocalypse of Elijah and Early Egyptian Christianity (Augsburg Fortress Publishers 1993) 9-13; Siegmar D. and Wihelm G., Dictionary of Early Christian Literature,(The Crossroad Publishing Company, New York, NY 2000) 192; Houghton H. P., "The Coptic Apocalypse. Part III, Akhmimice: 'The Apocalypse of Elias,'" (Aegyptus 39 1959) 179-210.

(٢) يصنف الإيحاء ضمن الكتب المزورة وهو ينسب إلى صفنيا أحد أنبياء اليهود، النص الأصلي مفقود حاليا فيما عدا بعض الإشارات التى وردت عند كليمنت السكندري (Strom. 5.11, 77, 2;) وبعض البقايا النصية التى عثر عليها فى مخطوطات قبطية فى أخميم باللغة القبطية الأخمينية وترجع إلى القرن الرابع الميلادي، وبعض البرديات القبطية غير معلوم مصدرها ولكنها باللغة القبطية الصعيدية ومؤرخة بالفرن الخامس الميلادي حول المصادر راجع:

James Charlesworth,The Pseudepigrapha and Modern Research, Missoula, Mont. Scholars Press for the Society of Biblical Literature,1976) 220-222; H. P. Houghton "The Coptic Apocalypse," (Aegyptus 39 1959) 40-91 esp. 42-67; Denis, Albert-Marie: Introduction aux pseudépigraphes grecs d'Ancien Testament, (Leiden 1970) 192-193; Wintermute, O. S. Apocalypse of Zephaniah, (in:Charlesworth, James Hamilton Hg. The Old Testament Pseudepigrapha. Vol. 1: Apocalyptic Literature and Testaments, Garden City, New York 1983), 497-515.

عنه وردت عند كليمنت السكندري (Strom. 5.11, 77)، كما عثر على بعض أجزاء منه باللغة القبطية فى (أخميم) فى أربع عشرة ورقة بردي من نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الميلادي. النص يتحدث عن حالة صعود صفنيا إلى السماء الخامسة حيث يرى الملائكة وهم يسكنون في معابد ويرتلون أغاني الخلاص إلى الرب، كما نجد النصوص التى عثر عليها فى اخميم تحتوي على وصف نبوءه لصفينا (العراف) بواسطة وحى ملائكي مبعوث من الرب يقود المؤمنين وينقذهم من تعذيب الأشرار، التأريخ المحتمل للنص الأصلي خلال القرن الأول قبل الميلاد، بينما النص المعدل فى المسيحية ربما كتب فى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

ثانياً : مصادر إيحاءات العهد الجديد (الإيحاءات المسيحية) :

يعد مفهوم الإيحاء فى العقيدة المسيحية نوعا من الأدب الإيحائي المرتبط بمفهوم الكتابة اللاهوتية التى تخص قضية واحدة وهى مفهوم الاتصال الإلهي– الإنساني، والتى تم تطويرها لتخرج من النطاق السري والحدود المحلية في الثقافة اليهودية إلي النطاق الشعبي والحدود العالمية المفتوحة فى العقيدة المسيحية. وبالتالي فإن الرؤية الإيحائية هنا بمثابة تقرير أدبي يكشف الحقائق حول الأزمنة الثلاث (الماضى والحاضر والمستقبل) في صياغة شاعرية ورمزية غير محدودة تنقل راويها إلى العوالم السماوية غير المرئية لتكشف له أمورا إلهية جاءت إليه من قبل رسول (ملائكي). وبالتالي فان الهدف الأساسي من الإيحاء المسيحي هو الحثّ الإيحائي الذي يستهدف معاقبة وإصلاح سامعيه بالتهديدات والعقاب أو بالنصر والفوز والجوائز في اليوم الأخير. وتعتمد مصادر إيحاءات العهد الجديد (الإيحاءات المسيحية) على مجموعة مختلفة من المصادر بعضها معترف به والأخر اختلف حول الاعتراف به نصا أو روحا أو فكرا.

من أهم النصوص الإيحائية فى العهد الجديد إيحاء يوحنا (رؤية يوحنا– سفر الرؤيا) The Apocalypse of John[1] فهو يعد من أشهر النصوص الإيحائية، فطبقا لما

جاء عند إيرينايوس (Irenaeus (A.H. 5.30.3 فإن النص كتب فى نهاية عصر الإمبراطور دومتيان حوالي ٨١-٩٦م، ويبدو حسب تلك المعلومات ان النص كتب فى شرق أسيا لكي يشجّع الجاليات المسيحية التى كانت تعاني وتهدّد وتقتل فى سبيل العقيدة الجديدة منذ زمن نيرون حتى زمن دومتيان، وأنه عليها أن تتحمّل وتعلم علما واثقا من أقتراب النصر الوشيك للسيد المسيح على سلطات المسيح الدجال (الرمز النصي للإمبراطور الروماني أو الإمبراطورية الرومانية نفسها). يتعامل يوحنا فى تصنيفه بين الأنجليين بكونه يقترب من المفاهيم النبوية[٢]، فهو مختلف ومتميز عن لوقا ومتى ومرقس من حيث الخلفية المعرفية والثقافية والقدرة الفلسفية فى التعامل مع القصص الإلهية، فيرجع له على النمط الرسمي أنه أول من صاغ الفكر اللاهوتي فى التحدث عن ماهية السيد المسيح، كما أنه كان مختلفا فى اللغة (اليونانية عالمية الطابع) والأسلوب والحيوية والثقة بالنفس فى الجمل التى كان يصيغها فى رؤيته. ولكن بصفة عامة فإن سفر الرؤيا هو صياغة إيحائية موجهة إلى كنائس المدن السبع فى آسيا الصغري التى كانت تتعرض للإضطهادات الرومانية. وهو بصفة عامة رسالة لتدعيم البعد اللاهوتي فى شخصية المسيح أولا، وفى ورثته الشرعيين تلاميذه والرسل الإنجليين ومن بينهم يوحنا، تبدأ الرؤية

---

(١) سفر الرؤيا أَو إيحاء يوحنا هو الكتاب القانوني الأخير فى الكتاب المقدسِ العهد الجديد. هو النص الوحيد الذي يعتمد فى تكوينه على الرؤية الإيحائيِ المتكاملة.

Aune, D., The Book of Revelation I, (WBC= Word Biblical Commentary, Vol. 52 1997) chs. 1-5,6-16, 17-22; Steven J. Scherrer, "Signs and Wonders in the Imperial Cult: A New Look at a Roman Religious Institution in the Light of Rev 13:13-15," (Journal of Biblical Literature 103/4 1984) 599-610; Fredriksen, Paula. "Apocalypse and Redemption in Early Christianity: From John of Patmos to Augustine of Hippo." Vigiliae Christianae 45 (1991) 151-83.

(2) Steven J. Scherrer, "Signs and Wonders in the Imperial Cult: A New Look at a Roman Religious Institution in the Light of Rev 13:13-15," (JBL 103/4 1984) 599-610.

بافتتاحية (١:٤-٦) وتنتهى بدعاء وبركة (٢٢:٢١)، ويحتوي المؤلف على وصف يوحنا للأحداث المستقبلية في نهاية العالم والتى تتضمّن التمرّد النهائي ضد الشيطان

فـي معركـة فاصـلة، انتصـار الـرب علـى الشـيطان، وإعـادة السـلام إلـى العـالم. هـو بالتأكيد أحد أكثر الكتب الدينية جدلا، وأقرب لمفهوم نصوص الإيحاء التوراتى. ومع ذلك ترك لنا يوحنا العديد من المشكلات التفسيرية فى النص والتى لا يعرف عمق مضمونها إلا يوحنا نفسه. فهناك العديد من المناهج التفسيرية التى أدركت أبعاداً مختلفة حول النص، منها التفسير التاريخي الذي يربط بين العرض الإيحائي وخلفية الظروف التاريخية فى زمن معين ومكان معين يتعلق بأحداث الإضطهاد فى القرن الأول الميلادي فى منطقة آسيا الصغري[١]، وهو ما يبعد النص عن الأهمية الدينية والعقائدية. وعلى الرغم من هذا، فإن المنهجية الموضوعية فى النص تحاول الإجابة على العديد من الأسئلة التفسيرية التى تتعلق بالأبعاد الموضوعية ودقة تفسير الرمز وحدود المقصود منه، منها على سبيل المثال الخلاف حول مقصد أو نوايا يوحنا فى طرح العديد من الرموز مثل: (خروج الوحش من البحر) الوحش فى التفسير المحدود طبقا لزمان ومكان الرؤيا يقصد به الإمبراطورية الرومانية، ولكن إذا ما أطلقت لها الحدود فسوف يكون المقصود بها التنين أو الشيطان أو أية قوي طاغية ظالمة وهو ما يقرب النص من الرؤي التوراتية التى حاولت الإلتجاء دائمة لقوة النص الديني فى الأزمات السياسية. أيضا رمزية (الوحش الثاني الخارج من الأرض)، يقصد به الممارسات الوثنية المقدمة

---

(١) حول المنهجيات المختلفة لتفسير رؤية يوحنا وتأرجحها ما بين مؤيد لصحة النص وضرورة وجوده واستخدامه فى الكتاب المقدس، والرافضون الأعتراف به لصعوبة تفسير نصوصه أو خضوعها لمنهجية علمية ثابتة ومتداولة بين كافة الكنائس. راجع:

Massyngberde Ford, J., "The Christological Function of the Hymns in the Apocalypse of John", (Andrews University Seminary Studies 36 1998) 207-229; Lawrence H., Apocalypse (Penguin Books, 1976)103; Michael A. Harris. "The Literary Function of the Hymns in the Apocalypse." (Southern Baptist Theological Seminary 1989,) 227-301.

من قياصرة روما فى تلك الفترة والخاصة بمفهوم عبادة الإمبراطور. وبالتالي فإن أغلب التفسيرات عبارة عن تفسيرات تحذيرية ونبوءات مستقبلية، وطبقا لثقافة المجتمع

المعاصر لها فإن تصديقها وتوقع حدوثها كان بمثابة حقيقة إيجابية إيمانية خالصة تبحث عن العودة الفورية للسيد المسيح ونهاية العالم في أوقات حياتهم وحال حدوث البلاء أو الإضطهاد الروماني.

ولكن من الغريب فى الأمر أنه عثر على نص يعرف باسم (رؤية يوحنا ضمن نصوص الأناجيل الغنوسية فى نجع حمادي)[١]، فقد عثر على ثلاثة مخطوطات ضمن ما يعرف بمخطوطات الأناجيل الغنوسية، حيث طابقت مع ما وصفه لها المؤرخ إيرينايوس فى عام ١٨٥م (A.H 1.20.1)، ويبدو أن مخطوطات نجع حمادي هى نسخة قبطية معدلة عن النص الأصلي باليونانية والذي أشار إليه إيرينايوس فى القرن الثاني الميلادي. المخطوطات مؤرخة بالقرن الرابع الميلادي وهى عبارة عن نسخ مكررة للنص مع الحذف والتلخيص للرؤية الكاملة المطولة الأصلية. النص يعرف حاليا (بأبوكرافيا يوحنا) أو الكتاب السري ليوحنا The Secret Book of John (Apocryphon of John) [٢]، ويبدو من تكراره وحديث إيرينايوس عنه خلال المقارنة بين النص الإنجيلي ليوحنا وبين النسخة الغنوسية، أنه عمل مهم من أعمال الفكر الغنوسي الأسطوري الطابع الذي يبحث عن إيجاد تفسير مقنع لعملية الخلق ومولد السيد المسيح وتبريرلحالة الصعود الإلهي والمجئ الثاني. النص فى مجمله

---

(١) النص مصنف ضمن الأعمال الغنوسية وعثر عليه فى ثلاثة مخطوطات، ويمكن الرجوع إلى ترجمة النص والتعليقات عليه فى:

Waldstein Michael, Apocryphon of John: Synopsis of Nag Hammadi Codices Ii, 1. (Brill Academic Pub 1995); Karen L. King, "Approaching the Variants of the Apocryphon of John" (The Nag Hammadi Library after Fifty Years: Society of Biblical Literature 1995) 105-37.

(2) Elaine Pagels, Beyond Belief: The Secret Gospel of Thomas (Random House 2003) 96-99; James M. Robinson, ed., The Nag Hammadi Library in English (San Francisco, CA: HarperCollins 1990)104-123.

عبارة عن تعاليم وأقوال سرية خص بها السيد المسيح يوحنا ومنه إلي العارفين الغنوسيين ليخبرهم بأسرار البداية والنهاية، وتبدأ الرؤية بمقدمه طويلة لوصف الرب

وذاتـه الضـوئية، ثـم مجموعـة مـن التفـاعلات الخلاقـة التـى تنتهـي بعمليـات الخلـق المتواليـة مـن خـلال تعـاليم كوزمولوجيـة، ثـم مرحلـة السـقوط مـن الملكـوت السـماوية والكيـان اللاهوتي إلـى الكيـان البشري الشرير فـى الصـورة الناسـوتية، ثـم تـأتي مرحلـة الإنقـاذ الإنسـانية التـى تـأتي دائمـا لمـن لديـة القـدرة علـى المعرفـة[١]، فالمعرفـة سـبيل الإنقاذ، فهو يعرفه على الملائكة وعلى الشياطين فى مقارنة تحذيرية، ويعطيه صفات الخـلاص الروحـاني والتخلص من الرغبـات الجسدية والزهد، ومجموعـة من الصـفات التى تتفق مع مفهوم الرهبنة الانفرادية التى مورست فى مصر فى تلك الفترة.

(إيحـاء بطرس الغنوسـي) The Gnostic Apocalypse of Peter وهو مصنف ضمن الكتب المسيحية المزورة، عثر عليه ضمن الأناجيل الغنوسية[٢]، وللنص نسخة مكررة عثر عليها فى مخطوط أخميم. فى حين نجد أنه ليس هناك نص أصلي معروف لإيحـاء بطرس، فتلك النصوص (الغنوسية ونص أخميم) يقال أنها مترجمة

---

(1) Frederik Wisse, After the Synopsis: Prospects and Problems in Establishing a Critical Text of the Apocryphon of John and in Defining Its Historical Locatior" (The Nag Hammadi Library after Fifty Years: Society of Biblical Literature 1995) 104.

(٢) يعد إيحاء بطرس من أفضل الأعمال التى تقدم أوصاف بشعة لعقوبات الجحيم. النص عرف منذ عام ١٩١٠ بترجمة أثيوبية تعود إلى القرن الثامن الميلادي عن ترجمة عربية نقلت عن ترجمة قبطية، وهو مصنف ضمن الكتب المزورة، من المفترض أن النص كتب فى مصر حسب رؤية كليمنت السكندري. النص يحمل رؤية أسطورية متاثرة بالأساطير المصرية القديمة واليونانية فى وصف الطبيعة السماوية ووصف الجحيم، موضوع نهر النار، ووصف يوم القيامة، وإحياء الموتي، ودمار العالم بواسطة النار. راجع:

Euseb. (HE) VI 14.1; Clement, Eclogae Propheticae 41, 48-49; Sozomen,(HE),vii.19; Bremmer, I.J.N., Czachesz, Apocalypse of Peter (Studies on Early Christian Apocrypha, 7, David Brown Book Company 2003) 10-20; Henriette W Havelaar; Albrecht Dihle; Jürgen Dummer, The Coptic apocalypse of Peter (Nag-Hammadi-Codex VII,3, Berlin : Akademie Verlag, 1999) 12-14.

مـن أصـل يونـاني عثـر علـى بعـض الاشـارات لـه عنـد كليمنـت السـكندري ونقـل عنـه يوسابيوس (Eusebius H E VI.14.1)[١]، والنص الذي عثر عليه فى مصر عام ١٨٨٦ فـي أخمـيم، عبـارة عـن أوراق جلديـة مـن النسـخة اليونانيـة اكتشـفت داخـل قبـر راهـب

مسيحي. كتب النص فى المخطوطة السّابعة التى ترجع تقريبا إلى النصف الثاني من القرن الرابع[٢]؛ ويبدو أن إيحاء بطرس (النسخة الغنوسية) مهمّ في عدّة نواح؛ فهو يحتوي على مادّة مصدرية لعلم اللاهوت الغنوسي– المسيحي، ولكنها مادة معرفتية تخص محاولة أدراك مفهوم (السيد المسيح المخلص). وقد تبدو المعلومات الإيجابية عن إيحاء بطرس واردة فى تعليق كليمنت السكندري الذي يعتبر النص الأصلي من ضمن تصنيفات الكتب المقدسة، حيث تأتي أهمية إيحاء بطرس فى كونه أحد الذين شاهدوا أحداث معاصرة للسيد المسيح، كما يصفه (كليمنت) بأنه أدي دورا حاسما فى تحقيق الأفكار المركزية للعقيدة عقب الصعود وتطور المسيحية فى مرحلة ما بعد القيامة. ولكن التصور الحالي للنص يفترض انه عمل مصري جاء ليعبر عن تطور المسيحية وسط العبادات المصرية القديمة والمشار إليها من خلال عبادة المصريين للحيوانات (حسب تعليقات كليمنت)[٣]. فنجد النص يحتوي على وصف السماء والجحيم، وعلى عقاب الشر، وإنقاذ المستقيمين، ووصف الأصناف المختلفة للآثمين، وهو أفضل من قدم الأوصاف البشعة لعقوبات الجحيم بواسطة الأفكار التصويرية للسماء والجحيم. ويري البعض تأثير الثقافة المصرية القديمة على روح النص من خلال أفكار يوم القيامة، إحياء الموتى، دمار العالم بالنار، الخ. كما أنه نوع متطور من الإيحائي اليهودي متأثر بكتابات (إينوخ، إيحاء صفنيا، حكمة سليمان، الخ.) التى تنتمي بصفة عامة إلى أصول الثقافة الشرقية[٤].

---

(1) Clement, Eclogae Propheticae 41, 48-49.
(2) Wilhelm Schneemelcher, ed., New Testament Apocrypha: (Louisville: John Knox Press 1992) 620-622.
(3) Clement, Eclogae Propheticae, 48-49.
(4) Wilhelm Schneemelcher, ed., New Testament Apocrypha: (Louisville: John Knox Press 1992), 633-638.

(إيحاء يعقوب الأول الغنوسي) First Apocalypse of James [١] وهو عبارة عن مخطوطة عثر عليها ضمن الأناجيل الغنوسية فى نجع حمادي، النص منتسب إلى يعقوب أخو الرب (السيد المسيح)، (غل ١: ١٩) أو ابن خالته، دُعِيَ يعقوب البار،

إذ كان مُحبًا للعبادة ومن كثرة ركوعه للصلاة، واستشهد في حوالي سنة ٦٢م ووُدفن في موضع استشهاده بالقرب من الهيكل. ولكن بعيدا عن انتساب النص بالفعل ليعقوب (جيمس فى الترجمات الأجنبية بينما عرف فى الأرامية ومنها إلي العربية بيعقوب Ya'ḳob) فإن النص يعد محاولة شيقة لفن الإيحاء الآدبي فى القرن الرابع الميلادي تقريبا، وهو التأريخ المحتمل للنص الغنوسي وليس الأصل الذي لا نعلم عنه شي، حيث يعكس النص محتوي الثقافة الغنوسية– المسيحية فى مصر، فهو عبارة عن حوار إيحائي بين الرب (السيد المسيح) وأخيه يعقوب (الذي يمكن اعتباره أخ روحي أو خليفته) ويتدخل فى بعض أجزاء الحوار الرسول بطرس. في الجزء الأول للنص يسأل يعقوب السيد المسيح عن أمور تتعلق بمستقبل الرسالة التى تركها أمانة بين أيديهم، وينبأه المسيح عن قلقه من المعاناة التى سوف يلاقونها فى سبيل المسيحية من اليهود، مع الاشارة إلى حادث الصلب، الذي كان نقطة تحول فى العقيدة. هذا ويتعامل المؤرخون مع هذا النص من منطلق كونه (مناسك الموت) والتى تنتمي إلى فكر الفالنتنيين، حيث يبدو التأثير الغنوسي الروحاني واضحا فى روح النص الداعي للاستشهاد واحتقار الجسد فى سبيل الوصول للخلاص الروحاني (لأنه الروح التي ترفع الروح، لكن الجسم الذي يقتله)، وبالتالي فإن النص يندرج تحت مسمي أقوال المسيح السرية لتلاميذه المعنيين بأمر الرساله

---

(١) الإيحاء الأول ليعقوب مصنف ضمن الأعمال المصورة فى الأناجيل الغنوسية ومدون باللغة القبطية، عنه راجع:

Schoedel, William R. "The First Apocalypse of James" (Anchor Bible Dictionary 3 1992) 628-629; Schoedel, William R. "Scripture and the Seventy-two Heavens of the First Apocalypse of James." (Novum Testamentum 12 1970)118-129.

ولكنه مكتوب بما يحقق صدق الأفكار الغنوسية[١] التى كانت متداولة فى مصر تقريبا فى القرنين الثالث والرابع الميلادي وقت ذروة الاضطهادات الرومانية وعشوائية الانتشار المسيحي ومحاولة سيطرة كنسية الإسكندرية على محاور الإيمان بالمسيحية.

(إيحاء يعقوب الثاني)[٢] Second Apocalypse of James وهو المخطوط الثاني الذي عثر عليه ضمن الأناجيل الغنوسية فى نجع حمادي، وهو مدون باللغة القبطية ربما عن أصل يوناني، المخطوط مؤرخ تقريبا بمنتصف القرن الرابع الميلادي، لا نعرف لتلك الوثيقة أصل أو تأريخ، ولكنها نموذج مواكب لثقافة الفكر الغنوسي الذي حاول البحث عن صلة وثيقة بتلاميذ المسيح لتدعيم أفكارهم، ولكن بصفة عامة فإن اللغة الآدبية فى هذ النص تقترب من أفكار فالنتيوس وبصفة خاصة فى تحديد بعض المصطلحات الغنوسية The Pleroma of Imperishability، وحقوق المعرفة فى الوصول إلى باب المملكة السماوية برفقة يعقوب أخو الرب[٣]. النص عبارة عن "نثر متناسق" لحديث بين المسيح ويعقوب، ينقله يعقوب بدوره إلى أهالي فلسطين، ويذهب المؤرخون إلى تصنيف العمل ضمن التقاليد اليهودية – المسيحية التى مورست فى مصر تحت قيادة التقليد المعرفي للغنوسية، فالخلاف حول موقف يعقوب غير المتشدد مع يهود فلسطين عقب القيامة وتوليه أول كنيسة مسيحية فى

---

(1) James M. Robinson, ed., The Nag Hammadi Library in English (San Francisco, CA: HarperCollins 1990), 263-265.

(٢) الإيحاء الثاني ليعقوب مصنف ضمن الأعمال الغنوسية مدون باللغة القبطية مؤرخ بالنصف الأول من القرن الرابع عنه راجع:

Gianotto, C. “La letteratura apocrifa attribuita a Giacomo a Nag Hammadi NHC 1, 2; V,3; V,4.” (Augustinianum 23 1983) 111-121; Hedrick, Charles W. “James, Second Apocalypse of.” (Anchor Bible Dictionary 3 1992) 632-633; Brown, Scott Kent. “Jewish and Gnostic Elements in the Second Apocalypse of James CG V, 4” (Novum Testamentum 17 1975) 225-237.

(3) James M. Robinson, ed., The Nag Hammadi Library in English (San Francisco, CA: HarperCollins 1990) 269-276.

أورشليم جعل لأعماله ورؤيته مفهوما متحيزاً لموقفه مع التقاليد اليهودية، ولكن النص يضيف أداءاً وظيفياً ليعقوب بوصفه أحد قادة الخلاص المعرفي الغنوسي (المخلص المعرفي) الذي قاد تلك المعرفة الإيحائية الإلهية للعارفين الغنوسيين وهو ما عبر عنه نص

أخر عرف بإسم الكتاب السري ليعقوب The Secret Book of James وصنف أيضا كنص إيحائي غنوسي ضمن أعمال الأبوكرافيا Apocryphon of James[١].

(إيحاء بولس)[٢] Apocalypse of Paul ينتمي فى الأصل لمخطوطات الأناجيل الغنوسية القبطية التى عثر عليها فى نجع حمادي، ويحتمل أن يكون مترجماً عن أصل يوناني من القرن الثاني الميلادي، بينما تأريخ المخطوط القبطي يرجع إلى منتصف القرن الرابع الميلادي. النص يجسد القدرة الرسولية لبولس من خلال تحديد وظيفي

---

(١) نص الكتاب السري ليعقوب The Secret Book of James من أعمال الغنوسيين عثر عليه فى الأنجيل الثالث وهو معروف كذلك باسم ايحاء يعقوب the Apocryphon of James قام بترجمته وعلق عليه رون كاميرون Ron Cameron فى كتابه Sayings Traditions in the Apocryphon of James (HTS 34; Philadelphia, PA: Fortress Press 1984). وهو يتعامل مع ثلاثة عناصر أساسية هى: مضمون الرسالة الإلهية المرسلة عبر يعقوب من المسيح، ثم حالة النبوءة والاستشهاد والتضحية، والثالثة هى الوثيقة التى تتعامل مع مستقبل الرسالة وهى قواعد تتصل بالأصول الغنوسية وأصول المعرفة الإلهية لهم. راجع أيضا:

Helmut Koester, Ancient Christian Gospels (Harrisburg, PA: Trinity Press 1990), 187-200; Ron Cameron, ed .The Other Gospels: Non-Canonical Gospel Texts (Philadelphia, PA: The Westminster Press 1982), 55-64; Robert J. Miller, ed., The Complete Gospels: Annotated Scholars Version (Sonoma, CA: Polebridge Press 1992) 323-335; James M. Robinson, ed., The Nag Hammadi Library in English (San Francisco, CA: HarperCollins 1990) 29-37.

(٢) هذا الكتاب مصنف ضمن أعمال المخطوطات الغنوسية التى عثر عليها فى نجع حمادي، وهو مدون باللغة القبطية، ومؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، ومن المحتمل أن يكون النص القبطي نموذج مترجم عن أصل يوناني من القرن الثاني الميلادي ولكن دون دليل أكيد. راجع:

Epiphanius (Heresy) 38. 2; Sozomen, (EH) vii.19, Aug. (on John) Tract 98; James M. Robinson, ed., The Nag Hammadi Library in English (San Francisco, CA: HarperCollins 1990)256-259; Krause, Martin. "Die literarishen Gattungen der Apokalypsen von Nag Hammadi." (In Apocalypticism in the Mediterranean World and the Near East: Proceedings of the International Colloquium on Apocalypticism, 1979) 621-637; Wilhelm Schneemelcher, New Testament Apocrypha (Louisville: John Knox Press, 1992) 695-700.

له من قبل الأب، ولكن الوظيفة الحتمية لروح النص الإيحائي قد تقترن باهتمامات الغنوسي فالنتينيوس بالحواري بولس وانعكاس تأثر النص بأهمية المعرفة كسبيل للإيمان ولغة أساسية للقيادة الرسولية على الأرض[١]، كما أن النص قدم رؤية مثالية

ومعادية لليهود تتفق مع التلقيد الغنوسي فى مصر، ويدور النص حول حديث المسيح أثناء صعوده عبر السموات السبع مع بولس، بينما يمكن تقسيم النص إلى ثلاث حلقات متميّزة وهى، مشهد عيد ظهوره الإلهي وتأثيره، مفهوم الحكم والعقاب، وحدود أيديولوجية الرحلة السماوية.

مصادر الإيحاء فى الفكر الغنوسي :

تعرف الغنوسية Gnosis –γνώσις بالمعرفة(٢)، وهى لا تعني عموم المعرفة بل يختص مفهومها فيما يعرف بالمعرفة الباطنية والتى يمكن تبسيط معناها بالتعاليم

---

(١) حول العلاقة بين التقاليد "الإيحائية" و الرؤية"المعرفية" عند فالنتينيوس، من خلال عرض مجموعة من الاعتمادات المختلفة للأشكال الأدبية الإيحائية والمخططات التصورية. وذلك للاستخدام الدعائي أو ما يعرف آنذاك بالدعاية الدينية فى القرن الثالث. وهى الرؤية التى اعتمدت على استغلال أسماء الحوارين والرسل لتحقيق وسيلة أستصال معرفى بعصر المسيح ذاته. حول تلك العلاقة فى فكر فالنتينيوس الغنوسي راجع:

Harold W. Attridge, "Valentinian and Sethian Apocalyptic Traditions," (JECS=Journal of Early Christian Studies 8.2 2000) 173-211, Wilhelm Schneemelcher, New Testament Apocrypha New Testament Apocrypha (Louisville: John Knox Press, 1992), 695ff; Edwards, M.J., "Gnostics and Valentinians in the Church Fathers," (JTS=Journal of Theological Studies 40.1 1989) 26-47.

(٢) تمثل دراسة الفلسفة الدينية المعروفة بالغنوسية عقبة رئيسية شائكة في تتبع تطور العقيدة المسيحية في مصر، وعلي الرغم من وضوح الأدلة والبراهين والمعطيات التي تؤكد مساهمتها الكبرى في تقبل المصريين للمسيحية، إلا أن هناك تستراً خفياً وراء الاعتراف بها ومناقشتها بصورة إيجابية كأحد مظاهر الفكر الديني والاجتماعي في حقبة مهمة من التاريخ المصري. عنها راجع:

Foerster, W. Gnosis, (Oxford. 1972) I.34-36, 59; Doresse J. The Secret Books of the Egyptian Gnostics. (New York 1960); Foerster. W. Gnosis. A Selection of Gnostic Texts. 2 vols. (Oxford 1974); Layton. B. The Gnostic Scriptures, New York, Doubleday, (1987)5-15; Layton. B. The Rediscovery of Gnosticism, Proceedings of the Conference at Yale. 2 vols. I. the School of Valentinus; II. Sethian Gnosticism, Leiden. (1980-1981); Quispel. G. Origen and The Valentinian Gnosis, (V. Ch. 1974) 29-42.

الروحانية التى عالجت قصور تفسيرية وثقافية فى تعاليم الرسل أثناء الفترة المعروفة بفترة (تعاليم ما بعد القيامة). وتعد تعاليم ما بعد القيامة من أخطر مراحل التطور الديني للمسيحية عبر تاريخها الطويل وإلى الآن، فهي المنطقة الحذرة الصعبة والغامضة عند العديد من العلماء(١).

فبعيداً عن مشكلة القيامة وتفسيرها فإن خروج العقيدة بكل ما تحمله من غموض تفسيري إلي المجتمعات الخارجية – فى نطاق الولايات الرومانية الوارثة للثقافة الهلينستية– كانت من المشكلات الكبري التى واجهت المسيحية فى تلك الفترة المبكرة، بل أن محاور الخلاف بين العديد من المذاهب بعد ذلك كانت خاضعة دون شك لتفسير تلك التعاليم التي خرجت بصورة شخصية ضد تعاليم التلاميذ ولم تقاوم كما ينبغي إلا فى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وتركت، فأثرت بصورة قوية في مفهوم المسيحية ولا سيما في مصر. ولكن لا يمكن الجزم بأن تعاليم ما بعد القيامة قد تبدو منذ البداية عناصر مشابهة للتعاليم الغنوسية التى تبلور مفهومها في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، أو هي تتفق مع ما عثر عليه في أناجيل نجع حمادي ١٩٤٥. وذلك لأن تلك التعاليم لم تظل كما هي، بل خضعت لتطوير وتغيير طوال الفترة منذ بداية ظهورها في منتصف القرن الأول وحتى بداية القرن الثالث الميلادي، وذلك من أجل تحديدها وتقوية أركانها وتثبيت أوتادها في المجتمع المصري. ولكننا (مجازاً) يمكن أن نعتبرها مرحلة من المراحل التاريخية لتطور العقيدة المصرية عبر عصورها، تلك المرحلة عرفت باسم (الغنوسية – المسيحية في مصر).

وتعد الغنوسية من المذاهب العقلانية التى تسعي للوصول إلى المذهب الروحاني عن طريق المعرفة، فهى تهتم بالأفعال الإنسانية وإحاطتها بالأسئلة الأساسية عن الوجود وهدفه ومصيره– وما هو المصير النهائي للكائن البشري؟، وهل قياس المصير بشري أم روحى؟– وبالتالي فإن تلك الأسئلة قد تندرج بدون شك فى محاولة اقتحام الفكر الفلسفي للإطار الديني المنتشر آنذاك، كما أن الأجوبة كانت تحتاج

---

(١) حول تعاليم ما بعد القيامة: راجع:

Eusebius. (HE) 11. 1, 2, 10-13; Irenaeus. (Adv. Haer.) 1, 20-25; Bonifas. F. Histoire des Dogmes de l'eglise Chretienne, VOL. 1, (Paris.1958)13 ff; Bauer. W. Orthodoxy and Heresy in Ealiest Christianity, (Philadelphia, 1971) XX1-XX11; Doresse. J. "Gnosticism" Historia Religionum, VOL. I. Religions of the past. (Leiden. 1969) 533-579.

دون شك لقدرة معرفية على أعلي مستوي يميل أصحابها إلى التخمين والتحليل والإيحاء، وهو النموذج المثالي فى الفكر الغنوسي الذي أسهم كثيرا فى انتشار العقيدة المسيحية فى مصر خلال القرن الثاني الميلادي فى إطار عالم من التقاليد الروحانية

الدينية والغموض الأسطوري والأفكار السرية التى غلفت أمر القضية بأكملها بغلاف من التشوق والمعرفة والاقتناع النابع من استغلال أمية المصريين وشغفهم بالأمور الغامضة والفكر الأسطوري.

على أية حال، فقد يبدو الاعتقاد السائد والذي أؤيده بصورة محدودة أنه لكي تفهم الأطر الغنوسية وأهدفها وضرورة وجودها فى هذا العصر فلا بد من العبور إليها عن طريق الرؤية الفلسفية أولا، فإن البعد الفلسفي فى إدراك الوجود والبحث فيه بصفة عامة قد يستلزم قدرة على المعرفة والتحصيل ثم الاقتناع الذاتي والإيمان بالفكرة، ثم التدرج فى التفكير لمستوي الأبداع النصي وتحويل الفكرة إلى نص ورؤية تحمل عناصر أساسية من التدرج الإفتراضي للتخيل ثم الإيحاء ثم اسقاطه على الواقع حتى يدرك من العامة، وهى مرحلة الإفتراضات التفسيرية التى تتعامل مع ثقافة العصر المحيط بصاحب الرؤية والمؤثرة فيه، وهو فى نفس الوقت مسيطر على أبعادها تماما. من هنا خرجت الأفكار الغنوسية التى تجسدها لنا مجموعة كبيرة من المصادر المسيحية المبكرة التى تؤيدها أو ترفضها أو تقف موقفا محايدا منها، فضلا عن الأصول التى عثر عليها فى نجع حمادي عام ١٩٤٥م والتى أسهمت كثيرا فى إعادة البحث عن تاريخ تطور العقيدة المسيحية فى مصر مرة أخري.

ولكن بعيدا عن مناقشة تاريخ العلاقة بين المسيحية والغنوسية فى مصر فإن الهدف الأساسي من مناقشة الأفكار الغنوسية فى هذه الدراسة هو اعتمادها الاساسي وصلب تكوينها على مفهوم الإيحاء. وقد تبدو عناصر الإيحاء مثبتة بالنص فى المخطوطات التى ذكرت سالفا (إيحاءات بولس وبطرس ويعقوب الأول والثاني) والتى عثر على أصول لها فى نجع حمادي، ولكن قد يبدو أن فكر الإيحاء كان أصلا ثابتا فى الهيكل الأساسي للفكر الغنوسي من خلال البحث عن الوجود وأسرار الخلق والهبوط إلى الأرض، والتحول من الحالة الروحية إلى الإنسانية البشرية، ثم دور هذا المخلوق المتحول فى الأرض حتى يسعي للعودة إلى أصل تحوله إلى روح مرة أخري. هذا السيناريو جسده لهم رحلة السيد

المسيح إلى الأرض من الكلمة أو الأمر الإلهي فى صياغة الروح القدس الذي تحول إلى بشر بجسد أثير (تضحية من الروح – المسيح – أن يأخد جسد الذنوب والعقاب حتى يأتي إلى البشر كمنقذ ومعلم) من رحم العذراء ويعيش بشرا بين البشر، ثم يصعد كروح أصيلة بعد أن ترك جسده معلقا فى مصيره المحتوم فوق الصليب معذباً ومهاناً كنتيجة طبيعية للأجساد بعد الموت، وهو الفناء الجسدي الذي تطور لدي الفكر الغنوسي لمرحلة احتقار الجسد والسمو والرفعة عليه والزهد فى الأهتمام به. لذلك فإذا بحثت فى نصوص الأناجيل الغنوسية المتعددة وأقوالهم تجد سمة إيحاء واضحة تحتاج إلي تفسير، وهو المنطق الذي يجعلني أصنف أغلب أعمال الفكر الغنوسي تصنيفا إيحائيا ولكننا سوف نقدم مجموعة نعتقد أنها قائمة أساسا على فكرة الإيحاء الأصلية والتى تناقش أموراً غيبة وأسراراً إلهية تجسد لنا الثقافة الغنوسية فى تلك الفترة المبكرة من تطور العقيدة المسيحية فى مصر منها:

(إطروحة على الإحياء)[1] Treatise on the Resurrection وهو من النصوص التعليمية للفكر الغنوسي والمنتسبة لأقوال المعلم الغنوسي فالنتينيوس، والنص عبارة

---

(١) عثر على هذه الرسالةِ التعليمية فى ثمانية صفحات قصيرة، وتكمن أهمية تلك الرسالة في كونها شاهدا تفسيريا غير تقليدي (مثل التعاليم المسيحية) حول ظاهرة البقاء بعد الموت، أو مفهوم الحياة الجديدة برؤية فلسفية، كما أنها تقدم إجابات محددة حول (خلود الروحِ؟ إحياء الجسمِ؟ التناسخ؟ وفي الموتِ؟ وعودة السيد المسيح النهائية؟ ربما حتى قبل موت؟) تصف أيضا الأطروحة مفهوم المنقذ الذاتي الذي يتحول داخل النفس البشرية ويرتفع بها إلى مستوي روحاني متجرد تماما من الشهوانية والدونية الجسدية. وقد ناقش اللاهوتي أريانوس تلك الأطروحة أثناء نقده اللاذع لفالنتينيوس. عن تلك الرسالة وعن الأطروحة وتعليقات اريانوس راجع:

NHS XXII Treat. Res. 45.30-33, 45.36-39; Irenaeus, (Against Heresies, Adv. Haer.) 3.19.1; Elaine H. Pagels, "The Mystery of the Resurrection: A Gnostic Reading of 1 Corinthians 15," (Journal of Biblical Literature 93, no. June 1974) 287; James M. Robinson, ed., The Nag Hammadi Library in English (San Francisco, CA: HarperCollins 1990) 52-54.

عن مجموعة من النصائح لتلميذه ريجينوس مما دعي لتسمية المخطوط (برسالة لريجينوس). عثر على المخطوط فى ثمانية ورقات، النص مكتوب باللغة القبطية مؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع، ربما عن أصل يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. ونجد أن

الهدف الأساسي من تلك الخواطر هو البحث عن أصل حقيقة الوجود، هل هو الروح أم الجسد، والرؤية تسعي لإثبات التعاليم الروحانية لفالنتينيوس والمتعلقة بخلود الروح الأصل وفناء الأجساد الشريرة، كما يناقش النص القضية الأزلية المختصة بتجسد المسيح وصعوده بدون جسد إلى الحياة الحقيقية نحو الخلود الحقيقة، فالمسيح ابن الرب من روحه القدس، فعندما جاء إلى الأرض لم يكن له أب لأن أباه الحقيقي فى السماء، وعندما صعد عاد إلى حقيقة ذاته الأصلي- الروحي- وترك الجسد (اللحم) الذي كان فقط وسيلة مرور للأرض، وبالتالي فإن محور الرسالة يدور حول الإنسان الذي يمتلك القدرة للعودة إلى أصله الروحي ليسمو فوق المغريات الجسدية، ولكن لن يتحقق ذلك إلا من خلال المعرفة الروحانية. كما أن البعد المحوري الأخر الذي يعتمد على قوة الإيحاء الصادرة من المعلم وأقواله ونظرياته، للتلميذ الراغب فى المعرفة الحقيقية ريجينوس المتلقي، وهى قاعدة تعبر عن وسائل الخطاب الديني فى العقيدة المسيحية فى تلك الفترة.

(نص التراكتات الثلاثة)[1] The Tripartite Tractate وهو من الأعمال الغامضة فى النصوص الغنوسية والتى تعتمد على التعاملات الروحانية والتى كانت تفسر من

---

(١) نص التراكتات الثلاثة عثر عليه فى المخطوط الأول المعروف باسم مخطوط يونج Jung، المخطوط الكامل ضم مجموعة من التعاليم التى وصفت بكونها محادثات سحرية، وجزء من تفسير جمهورية افلاطون بجانب النصوص الثلاثة بدون عنوان والتى كتبت باللغة القبطية. النصوص فى مجملها تحمل مميزات المدرسة الفلسفية لفالنتينيوس، بعض العلماء رجحوا كتابة تلك النصوص باليونانية فى الإسكندرية قبل رحيل فالنتينوس إلى روما فى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. ولكن البعض الأخر يري أنه كتبها فى روما. حول النص والمغزي الفلسفي الروحاني عند تعليم فالنتينيوس الغنوسية راجع:

Einar Thomassen.The Spiritual Seed,(The Church of the 'Valentinians' Nag Hammadi and Manichaean Studies, 60, 2005), ch. 18; Green, H. A. "Ritual in Valentinian Gnosticism: A Sociological Interpretation." (Journal of Religious History 12 1982): 109-24; Robinson, M., "The Jung Codex: The Rise and fall of a Monopoly," (RelSRev= Religious Studies Review 3 1977)17-30; Attridge, Harold W., and Elaine H. Pagels. Tripartite Tractate." (In The Coptic Encyclopedia, edited by Aziz S. Atiya. 7. New York, 1991) 2277-2278.

قبل على أنها من أعمال السحر والشعوذة الخاصة بهؤلاء الغنوسيين الأوائل. والعمل في الحقيقة كان بدون عنوان، ولكن حدود تقسيمه ثلاثة أقسام مما أدي إلى تسميته (تراكتاتوس

تريبارتيتوس) وهو مدون باللغة القبطية ومؤرخ تقريبا بنهاية القرن الثالث وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي. هناك اختلاف حول انتماء العمل للتعاليم الفالنتينية أو الباسيليدية، ويبدو أن العمل عبارة عن مرحلة توفيقية بين المذهبين، فمن المحتمل أن يكون صاحب النص مؤلف واحد كان منتميا لفكر باسيليدس ثم طور افكاره بتعاليم فالنتينيوس ولاسيما فى الأسلوب اللغوي الذي يقارب الشعر فى أغلب الأحيان وهو اسلوب تميزت به أعمال فالنتينيوس. يتعامل الجزء الأول مع وصف الأب الإله الأكبر. ويصف الجزء الثاني ظهور الابن ومفهوم الكنيسة (الأرض) وضرورة الخلق الإنساني وعلاقة الأرض بالبشر، وحتمية ظهور الشر، ومرحلة السقوط البشري وأسبابها ونتائجها. بينما يتعامل الجزء الثالث مع التشكيلة اللاهوتية فى الإنسان وصراعها مع قوي الشر، ثم أعمال المنقذ (المسيح) واعتلاء المنقذين (الغنوسيين) لنقاء الأرض من الشرور المحيطة بها. وبصفة عامة فإن النص يميل بشكل كبير للتقليد القديم فى الفلسفة اليونانية. كما أن أسلوب الكتابات الروحية عند فالنتينوس كانت تحتوي على انشقاق أسطوري – فلسفي حول العمل إلى رؤية إيحائية ذات عوالم رمزية.

(هيبوستاسيس الأرخوني)[1] The Hypostasis of the Archons وهو أيضا من النصوص الغنوسية التى عثر عليها فى نجع حمادي وهى تجسد مراحل تطوير الفكر

---

(١) يوجد نص هيبوستاسيس الأرخوني ضمن مخطوطات الإنجيل الثاني المعروف باسم إنجيل توماس وهو نص يتعامل مع السرد التاريخي لمتابعة أفعال البشر على الأرض منذ سقوط أدم وحتى انتقال السلطة الأرضية لابنه شيث. ولكن النص أيضا يعد نموذج للصياغة الأدبية المتطورة فى الفكر الغنوسي الذي يحاول تقديم القصص التاريخية فى معالجات فلسفية إيحائية تخدم رؤيته اللاهوتية فى الفكر المسيحي المعاصر آنذاك. حول النص وتفاسيره راجع:

The Hypostasis of the Archons.(Nag Hammadi Codex II , 1989; Bentley Layton trans.), II 86, 20-97, 23; "The Hypostasis of the Archons" (in James M. Robinson (ed.) The Nag Hammadi Library in English San Francisco: Harper & Row, Publishers, 1977)154-155; Layton, Bentley. "The Hypostasis of the Archons (conclusion)" (Harvard Theological Review 69 1976) 31-101.

الغنوسي المسيحي فى مصر على النمط الإيحائي برؤية تخيلية لمفهوم الخلق والعوالم الكونية فى العالم السماوي، وعلاقة الخالق بالمخلوق وسقوط المخلوق وعذابه. النص

يقع فى الانجيل الثاني من الأناجيل الغنوسية، ويركز على أصل الخلق للعالم وخلق الإنسانية ومرحلة سقوط أدم ووفاته وتسليم الراية النورية لأبنه شيث الذي يبدأ من عهده مراحل الخلاص الأولي للبشر عقب سقوطهم بذنب أبيهم. ويستعرض النص التاريخ البدائي بصورة إيحائية تخيلية عن مرحلة نسل شيث وصولا إلي نوح والطوفان، ثم نسل نوح، ولكن النص أيضا يرمي إلى تفسير قضايا مصيرية فى العقيدة المسيحية المعاصرة لتلك التعاليم مثل رغبة صوفيا فى الخلق أو الإنجاب بدون قرين أو زوج، والرؤية الثنائية فى العوالم الكونية والتى تفصل دائما بين العوالم الأعلى والأدني، وهى أمور صار حولها جدل كبير فى تفسير التعاليم اللاهوتية المسيحية حتى منتصف القرن الخامس الميلادي.

(مخطوط صوفيا يسوع المسيح)[1] The Sophia of Jesus Christ وهو أحد أهم النصوص الغنوسية التى عثر عليها فى نجع حمادي، كان بدون عنوان محدد ولكن لأن الموضوع يبحث فى العلاقة بين صوفيا والمسيح فوضع له هذا العنوان. وبالرغم من أن صوفيا تعني الحكمة، ولكنها فى السياق الغنوسي فهى مرتبطة روحانية بالمسيح المنقذ الذي جاء إلى الأرض لنقاءها وإنقاذها من الأجساد البشرية الشريرة التى صنعها وأخضعها لسلطانه أبنها الديميرج. المخطوطة مدونة باللغة

---

(١) صوفيا السيد المسيح، هو أحد النصوص الغنوسية التى تحمل سمة إيحائية متميزة، عثر عليه باللغة القبطية الصعيدية فى المخطوط الثالث من الأناجيل الغنوسية، والنص كان معروفا من قبل فى صورته اليونانية من خلال بردية (P. Oxy. 1081) التي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي حول النص راجع:

P. Oxy. 08 1081; E. Schlarb - D. Lührmann, Fragmente apokryph gewordener Evangelien, (Marburg 2000) 96-101; Dahl, Nils A. "The Arrogant Archon and the Lewd Sophia." (in The Rediscovery of Gnosticism: Proceedings of the International Conference on Gnosticism at Yale, New Haven, Connecticut,1978 edited by Bentley Layton. Vol. 2: Sethian Gnosticism. Leiden: Brill, 1981) 689-712; Edwards, M. J., "Neglected Texts in the Study of Gnosticism." (JTS 41 1990) 26-50.

القبطية ومؤرخة بمنتصف القرن الرابع، بعض العلماء أرخوا بعض نصوصه إلي أصول ترجع إلى القرن الأول الميلادي فيما ينسب لأقوال السيد المسيح. ويتعلّق

المحتوى العام للنص بمناقشة أسئلة تتعلق بخلق الآلهة، والملائكة، والكون، والحقيقة اللانهائية والغيبية. ومقومات المنقذ المثالى. وهى نوعية من النصوص التى حاول بها الغنوسيون فى القرنين الثالث والرابع تثبيتها فيما يتصل بعلاقتهم السرية والمباشرة مع الرسل والتلاميذ الذين نقلوا لهم وصايا وأقوال السيد المسيح بما يؤكد شرعية عقائدهم. فمحاور النص عبارة عن أسئلة من بعض التلاميذ الذين كانوا قد ذهبوا أعلي جبل الجليل وعددهم إثنا عشر تلميذاً وسبع نساء من الأتباع، وهناك ظهر لهم المسيح ودارت بينه وبينهم مناقشات حول مجموعة من الأسئلة التى ترتبط فى محور أجاباتها بمفهوم الإيحاء، منها، الزهو وعبث البحث عن حقيقة الإله، كيف تجد الحقيقة، وعدد الحقائق التى كشفت للمعلمين الغنوسيين، من هم الذين يستحقون رؤية الحقيقة، وصف خلق البشر منذ البداية وحتى تولي الغنوسيين الراية، علاقة صوفيا بالمسيح وموقعهم من هذا الخلق، هوية السيد المسيح، كيف تتصل الروح بالمادة، عدد الأرواح. وصف الخالدين. ووصف الروحانيين، والسؤال الأخير يتعلق بضرورة طاعة الأوامر الإلهية.

ويمكن أن نضيف نصوصاً أخري قد تعتمد فى أغلب نصوصها على الرؤي الإيحائية[1]، مثل نص (أصل العالم) On the Origin of the World ، و (حوار المنقذ) The Dialogue of the Savior، ونص (أسكليبيوس ٢١-٢٩) Asclepius 21-29، بالإضافة

---

(١) حول هذه النصوص الغنوسية التى تحمل سمات إيحائية فى مضمونها راجع:

Markschies, Christoph. Gnosis: An Introduction. (Translated by John Bowden. London and New York: T. & T. Clark, 2003); Nock, Arthur Darby. "Gnosticism." (Harvard Theological Review 57 1964) 256-79; Pagels, Elaine. The Gnostic Gospels. (New York: Vintage Books, 1979); Painchaud, Louis. "The Use of Scripture in Gnostic Literature." (Journal of Early Christian Studies 4 1996)129-146; Robinson, James M. "The Jung Codex: The Rise and Fall of a Monopoly." (Religious Studies Review 3 1977)17-30.

إلى (أنجيل الحقيقة) الذي يعد أحد أفضل النصوص الغنوسية المكتوبة في مجموعة نجع حمّادي، فهو مصنف كعمل أدبي عظيم، وتفسير معرفي قائم على المعرفة

الإنجيلية[١]. حيث يحتوي على ملخص شامل للمحاور الرئيسية للفكر الغنوسي من خلال البحث عن فكرة أصل الخلق، وأصل الشر، وسقوط صوفيا، وغيرها من التفسيرات التى ارتبطت برحلة المسيح من العالم السماوي إلى العالم الأرضي فى رحلة إنقاذ للبشرية. وبالتالي فإن محاور وسياق النص كانت شعرية وفى إطار صياغة أدبية فى غاية الدقة فى تكوين الصور والإيحاءات اللفظية والوصفية لرؤي خيالية غير مدركة للعقل البشرى إلا من خلال المعرفة.

وسائل استخدام وتوظيف النصوص الإيحائية فى الثقافة المسيحية :

مما لا شك فيه أن استعمال مصطلح كان له انطباع أدبى ودينى مهم فى العهدين القديم والجديد، فهو مصطلح يحدده طبيعة النص ومصدره طبقا للمفهوم السائد Ἀποκάλυψις فى نصوص العهد الجديد (موحي من يسوع الرب)

---

(١) إنجيل الحقيقة من أعمال الفكر الغنوسي فى مصر وهو معروف أيضا بمخطوطة Jung. عرف النص تاريخيا من إريانوس Iranaeus الذي اعترض عليه المحتوى المعرفي المتناول فيه، يصف النصّ الفكر الغنوسي الأصلي فى مفهوم الخلق، وأصل الشر، وأسطورة صوفيا والديميرج، وسقوط صوفيا والخلق البشري الذليل لشهواته الجسدية، ثم يصف حالة الأرض ومن عليها وسطوة الديميرج وسلطانه الشرير، ثم ينتقل إلى المعلم القادم من السماء المسيح الذي جاء لإنقاذ الأرواح للحياة الأبدية، فالوصف هنا يعتمد على الراعي الجديد الذي جاء لأطعام الجياع طعاما روحيا قائم أساسا على إدراك المعايير الحقيقية للمعرفة الحق، وهى معرفة تعتمد من خلال النص على طبيعة الإتصال والعلاقة الإيحائية بين الإبن والأب. حول النص راجع:
Irenaeus, (Adversus Haereses) 3.11.9; Robinson, James M. “The Jung Codex: The Rise and Fall of a Monopoly.” (Religious Studies Review 3 1977) 17-30; Tuckett C. M., "Synoptic Tradition in the Gospel of Truth and the Testimony ofTruth," (Journal of Theological Studies 35 1984)145ff; George W. MacRae and Harold W., Attridge from Nag Hammadi Codex I, (edited by Harold W. Attridge, Volume XXII of Nag Hammadi Studies, E.J. Brill, Leiden, 1985); Painchaud, Louis. “The Use of Scripture in Gnostic Literature.” (Journal of Early Christian Studies 4 1996) 129-146.

'Αποκάλυψις 'Ιησοῦ Χριστοῦ ،[١] وبالتالي جاءت مفردات النص الإيحائي غير قابله لإدراك الفكر الإنساني مباشرة، ولا تحمل رؤي واقعية، بل اعتمدت على الفكر الرمزي

والعناصر الروحانية والفكر الأسطوري لتحقق مستوي إلهياً متميزاً وغير مدرك إلا من خلال العارفين به والمؤمنين بأفكاره، بينما الباقون سوف يظلون عاجزين عن إدراكه، بل ومتحيرين فى أمر النص ومعجبين ومتشوقين لقراءة تفسيره ومعرفة أسباب نزوله. تلك كانت السمة الأدبية المتميزه فى تلك الفترة المحصورة ما بين منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي فى المجتمعات اليهودية والمسيحية للعالم الهللينيستي، وقد لاقت النصوص الإيحائية قبولا كبيرا فى ظل انتشار الأمية وانتشار وسائل المعرفة المحلية التقليدية المرتبطة بها آنذاك مثل السحر والشعوذة والنبوءة وغيرها من الأعمال التى تندرج تحت مسمي الثقافات الشعبية المحلية. ولكن من خلال متابعة التطور التاريخي والأدبي للنص الإيحائي نلاحظ أنه استخدم فى تحديد مجموعة من التفسيرات والوظائف اللاهوتية المرتبطة بأمور تفسير العقيدة التوراتية أو الأنجيلية.

من بين استخدامات النصوص الإيحائية ظاهرة **تفسير الألغاز**، وهي ظاهرة البحث عن كشف الأشياء التى تقع وراء المدي المعرفي للإنسان، وهذا الدافع قد يجعل أصحابه يحملون مستوي عالي من الثقافة، ويتميزون برؤية خاصة من القداسة المعرفية بأمور خفية وجديدة على التجربة الإنسانية. وقد تألق فى هذا المجال الفكر الغنوسي كمنتج ثقافي وديني وطقسي اعتمد فى تكوينه الاساسي على

---

(1) Ehrman, Bart D. "Jesus, the Apocalyptic Prophet," (in The New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings. New York: Oxford University Press, 1997) 203–232; Murphy, Frederick J. "Introduction to Apocalyptic Literature." (In The New Interpreter's Bible, ed. Leander E. Keck. Nashville: Abingdon, 1996) 1–16; Stone, Michael E. "Apocalyptic Literature." (In Jewish Writings of the Second Temple Period, ed. Michael E. Stone. Compendia Rerum Iudaicarum ad Novum Testamentum, section 2, volume 2. Assen: Van Gorcum, 1984) 383–441.

قاعدة الإيحاء من خلال البحث عن إجابات لأسئلة تخص الوجود والعوالم الكونية المحيطة بالطبيعة الإنسانية، من أين جئنا؟ وأين نحن؟ وإلي أين نذهب؟. وعلى الرغم من التجاوز الفلسفي والتفسيري فيما يتعلق بمولد المسيح وصعوده وموروثه الديني على سبيل المثال، إلا أنهم استطاعوا تكوين قاعدة مذهبية قائمة على عناصر الإيحاء والروحانيات الدينية عالية التفكير تبحث عن تفاسير لبعض المفاهيم الغامضة فى العقيدة المسيحية المبكرة مثل: أسرار السماء، أغراض الله؛ أعمال وخصائص الملائكة والأرواح الشرّيرة؛ تفسير الظواهر الطبيعية؛ قصّة الخلق؛ الرؤية المستقبلية للأحداث وبصفة خاصة المرتبطة بمستقبل المسيحية والمجئ المنتظر؛ ونهاية العالم؛ والحكم النهائي، ومصير البشرية؛ والعمر المسيحي؛ وصور السماء والجحيم. كما أضيف بعد لاهوتى مرتبط بطبيعة السيد المسيح اللاهوتية والناسوتية وهو ما يعرف (بالطبيعة الواحدة أو الطبيعتين)، وقد فتح هذا المجال الباب أمام العديد من الرؤي التفسيرية التى اعتمدت على إثبات مفاهيم الأيحاء النصية أو المبشرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[1]. وبالتالي أصبحت الأعمال الإيحائية مصدراً مهماً لتفسير العقيدة لكونها وحي إلهي غير قابل للرفض أو النقد بل قابل فقط للتفسير.

أيضا هناك استخدام أو عادة قانونية تفسيرية توراتية لنصوص الإيحاء التى تبحث دائما عن **الحكمة الخفية** حيث يعبر فيها النص الإيحائي ذو الطبيعة اللاهوتية عن حكمة خفية صالحة دون شك للاستخدام علي مستوي التدرج الطبقي الثقافي الديني وعبر المتغيرات الاجتماعية والدينية الكائنة فى العصور المختلفة. وبالتالي فإن محاولة الكشف عن الحكمة الخفية فى النصوص الإيحائية وهو عنصر (التجلي) فى الوصول إلى بواطن الحكم الإلهية للخروج بمجموعة متكاملة من الفضائل الخفية التى تحمل فى طياتها مجموعة من الرموز الغامضة والفكر

(1) Collins, John J. "Apocalyptic Eschatology as the Transcendence of Death." (The Catholic Biblical Quarterly 36.1 1974): 21-43.

الميتافيزيقي، وقد تحتاج هذه الحكمة الإلهية الهابطة من السماء بمفهوم (الأمر الإلهي) إلى عارفين ورسل يقومون على تحليلها وتبسيطها برؤية تتفق وثقافة العامة انذاك، لذلك فإن الرؤية التفسيرية هنا ارتبطت بمفهوم (التقليد الإيحائي) وهى الحالة التى تسيطر على واضعي الإيحاء أمثال دانيال واينوخ ويوحنا وبطرس وأغلبية المعلمين الغنوسيين أمثال سيمون وكرينثوس وكربوكراتيس وبسيليدس وفالنيتيوس، وهى أيضا الحالة التى يجب توافراها عند بعض المفسرين للأناجيل أمثال كليمنت وأوريجنيس، وأوغسطين، وهى أيضا حالة الإبداع الفني التى تسيطر على مصمم اللوحات الدينية المدعمة للفكر الديني وتفسير لوغاريتم الحكمة الخفية[1]. لذلك ظهرت أهمية الصفات التى يجب توافرها فيمن يقع عليه عبئ البحث عن الحكمة الخفية فى النصوص الإيحائية، وهى أن تكون لدية التجربة والمعرفة والطاعة والانصياع للأمر الإلهي ونقاء النفس، على أن يبدأ المعلم بنفسه، وبالتالي فإن التجربة والمعرفة غير المحدودة سبيل للشخص أن يكون قادرا على الوصول إلى تفسير التعابير الإيحائية الإلهية حيث يعد وكأنه رسول بتلك التقليد الإيحائية للعامة.

أيضا من أهم الاستخدامات الإيحائية التى تبحث عن والوظيفة الأصلية للإيحاء بوصفه **رسالة سماوية قادمة عن طريق الرسل الملائكية**، فنجد أن الإيحاء قد ارتبط منذ البداية بالملائكة حاملي الإيحاء أو وكلاء الإيحاء الإلهي، وبالتالي فإنهم يحملون رؤية إلهية بمفاهيم خاصة جاءوا بها إلى أفراد معينين مباركين، فهم رسل سماويون يجلبون ألغاز العالم غير المرئي للعارفين والمعلمين المهيئين لاستقبالهم ليوضحوا لهم مالا يستطيعون تفسيره ويجيبون على أسئلتهم، وبالتالي ارتبط الإيحاء بالوحى وهو الصورة الملائكية التى كان لها دور كبير فى تثبيت الرؤية الإيحائية،

---

(1) Stone, Michael E. “Apocalyptic Literature.” (In Jewish Writings of the Second Temple Period, ed. Michael E. Stone. Compendia Rerum Iudaicarum ad Novum Testamentum, section 2, volume 2. Assen: Van Gorcum, 1984) 383–44.

فلا يصح أن يكون هناك إيحاء بدون وحي، وهى نفس الفكرة عند الفلاسفة الإغريق والمبدعين والملهمين القدماء فى استعراض (الموزاي) بنات زيوس رب الأرباب عند اليونان. وفي الحقيقة فإن الملاك عبارة عن وسيط إيحائي له طبيعة خاصة، ولكن وجهات النظر قد تختلف فى تفسير وظيفة الملائكة بعض الشئ بين اليهودية والمسيحية. وقد تبدو وجهة النظر اليهودية مرتبطة بالوضع القصصي فى التوراة لوظيفة الملائكة الذين ينفذون إرادة الرب وغضبه على أعداء اسرائيل، وتذكر العديد من فصول التوراة "الرب الغاضب الذي يرسل ملائكته لضرب أعداء الإسرائيليين". وقد اعتبر المعلّقون التوراتيون التقليديون الملائكة كائنات سماوية مخيفة وليست قابلة للتصور البشري الذي لا يستطيع تحملها، لذلك فهى قاصرة على الأنبياء الذين بدورهم هم فقط الذين قدموا لنا وصفا لهولاء الملائكة.[١] ولكن وجهة النظر المسيحية فى العهد الجديد أظهرت الملائكة كوزراء الرب ووكلاء الإيحاء وأعطتهم مساحة وظيفية أرضية كبيرة فى الإدراك المسيحي العقائدي، هذا المفهوم أتاح ظهور الملائكة لعامة البشر أو لصفة بشرية غير الأنبياء والرسل[٢]، فنجدهم ظهروا للسيدة العذراء، وليوسف النجار وبولس وبطرس ويوحنا وأغلب الشهداء القديسين الأوائل والمعلمين والرهبان. ولكن الاتجاه الأهم هو تصوير الملائكة

---

(١) عن وصف الملائكة فى التوراة

Encyclopaedia Judaica. Jerusalem, Israel: (Keter Publishing House, vol. 2 A-ANG 1972),956-978; Davidson, Maxwell J. Angels at Qumran: A Comparative Study of 1 Enoch 1-36, (Sheffield: Sheffield Academic Press, 1992) 72-108; Alice R.,& Marie G., The Natural Restoration of the Angels in the Depths of Evil (Washington: American Maritain Society/The Catholic University of America Press, 2002), 251-68.

(٢) عن وصف الملائكة فى العهد الجديد.

Walter Bauer, William F. Arndt, F. Wilbur Gingrich, and F.W. Danker, A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature, (Cambridge: University Press, 1957), 8; Kittle, and G. Fredrich, (eds.) Theological Dictionary of the New Testament, (Grand Rapids: Eerdsmans Publishing Company 1964-76),14; Maxwell J. Davidson, Angels at Qumran, A Comparative Study of 1 Enoch 1-36, 72-108 and Sectarian Writings from Qumran, (Sheffield: Academic Press, 1992), 274.

بطبيعة بشرية مقبولة وليس مخيفة بل كان الملاك يتميز بالهدوء والقبول اللطيف يحمل مجموعة من الصفات الإنسانية التى تجعلهم وسطاء بين الرب وجميع البشر الباحثين عن الإيمان والمعرفة الإلهية. وبالطبع هذا التصور انعكس على صور الملائكة فى الفن المسيحي فى مصر، وهى رؤية امتزجت مع وظيفة الرسول الإلهي فى الفن اليوناني والروماني. ولكن تفسير الملائكة في الإنجيل جاء معبرا ببساطة عن كونهم يأتون فى صورة بشرية ويحملون رسالة قدسية.

أيضا فى سبيل البحث عن وظائف تفسير النص الإيحائي قد نصطدم دائما بمفهوم **الإيحاء التنبؤي والقوة الخفية**، فقد يحاول الإنسان إزاء عالم موحش مضطهد مخيف يسحقه، أن يرغب فى محاولات أكيدة سواء كانت واقعية أو خيالية من أجل السيطرة على هذا العالم الشرير المحيط به، وأن يكتسب قوة تفوق قواه الخاصة، فتجعله سيد مصيره على الأقل. لذلك سيطرت على مفاهيم الإيحاء مفهوم علاقة الإنسان بالمستقبل فى صورة نبوءة تحذيرية دينية توضح سبل الطريق للرب وأغراضه فى خلقه. فقد صور الأدب الإيحائي رؤية عما سوف يحدث فى الأيام الأخيرة، الحساب الأخير، الفوز والخسارة فى الجنة والنار، موقف الرب من العاصين وهكذا. ولكن فى بعض الأحيان كانت الرؤية الإيحائية تستعرض جانبا من التاريخ الماضي أو الحاضر فى صورة رمزية غرضها الأساسي البحث عن رؤية مستقبلية، فنجد أحداث التاريخ الماضي الواضحة فى (رؤية دانيال) تعطي البعد التأريخي قوة صحيحة فى تثبيت الإيحاء التنبؤي منذ غزو الإسكندر الأكبر لمصر وحتى عهد الملك أنتيوخوس أبيفانس، بمعني أن هذا الاستعراض كان بمثابة نبوءة عن الحروب التى يجب أن تؤدى إلى موت انتيوخوس وسقوط مملكته. فى نفس الوقت نجد فى (رؤية دانيال) رموز الحلم الإيحائي الرمزي مثل (النسر) الذي يمثل الإمبراطورية الرومانية، و(الأسد) الذي يمثل المسيح المنتظر (حسب تفسيرات العهد الجديد). ولكن تتضمّن النبوءة أيضا صفة أساسية تبحث دائما عن الاتصال الدائم مع المستقبل أو

بالعوالم المختلفة المحيطة بالوجود الإنساني وغير مدركة عقلانيا أو هى بالضرورة غير متوافقة مع العلم التجريبي[1]. لذا، فإن القوّة الافتراضية للنبوءة ليس لها أن تختبر علميا أو تجريبيا فى وقت ظهورها، ولكنها تعتمد على قدرة الإيحاء وقوة الاقناع به حتى يعتقد العقل البشري بأنّ تلك النبوءات الإيحائية قادمة لا محالة وبصفة خاصة نبوءات الأنبياء غير قابلة للتشكيك أو الرفض الإنساني. كما نجد على مستوي نصوص الإيحاء فى العهد الجديد أن (سفر الرؤيا ليوحنا) من النصوص الإيحائية المقبولة من قبل العديد من المسيحيين فيما يتعلّق بأمر إيحاء النبوءة المتجدد تفسيريا، حيث يحتوي علي أبعاد تفسيرية مختلفة بعضها خاص بالتطور الفكري للعقيدة المسيحية فى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، والبعض مرتبط بالتصور التاريخي والسياسي لمستقبل العقيدة تحت ظل الإمبراطورية الرومانية، بالإضافة إلى أبعاد أخرى يمكن للمفسر الواعي استنتاجها بصور مختلفة تتفق مع مختلف العصور، وذلك من خلال تلك الرموز التى تتمثل فى امتلاء الأرض والبحر بالوحوش المتوالية والتى يجب القضاء عليها، ولكن إذ ما فسرت تلك الوحوش على أنها رمز الشر على الإطلاق فإنها دون شك تكون صالحة لكل زمان ومكان دون تمييز، وبالتالي فهناك علاقة بين الموروث الشعبي وسيكولوجية المواطن العادي وبين نصوص الإيحاء التى تناقش مصيره وتهتم به فيكون مهيئا لقبولها من أجل تحقيق الخلاص ولو خياليا أو فى صورة نبوءة يقتنع ويؤمن بحدوثها بدافع إيحائي وديني. وبالتالي فإن التفسيرات التنبؤية التحذيرية لنصوص الإيحاء كانت إلى حد ما قريبة من مفهوم التصورات الشعبية التى انتشرت فى منتصف القرن الأول الميلادي وبصفة خاصة فى الأقاليم الشرقية التى كانت تعاني من سطوة رومانية على مقدراتها التراثية والفكرية.

---

(1) Lacocque, Andre "The Liturgical Prayer in Daniel 9," (HUCA= Hebrew Union College Annual 47 1976): 119-142. Fishbane, Michael "Daniel," (Encyclopedia of Religion. Vol. 4 Macmillan, 1987) 237-8; Free, Joseph P. "Archaeology and Higher Criticism," (Bibliotheca Sacra 114 Jan. 1957): 23-39; Harrison, R. K., "Historical and Literary Criticism of the Old Testament," (Expositor's. Vol. 1 Zondervan, 1979) 231-50; Harrison, R. K.,"Book of Daniel," (International Standard Bible Encyclopedia. Vol. 1, G. W. Bromiley, General edito Eerdmans, 1979) 859-866.

من المحتمل أن يكون التوظيف الأخير لفكرة الإيحاء الديني قد يتصل ببعض الأبداعات الآدبية والتصورية فى النص الإيحائي **كرؤية آدبية وفنية**، وهى بلا شك ملكات خاصة يتمتع بها العارفون والرسل والمبدعون بصفة عامة، وتبدو تلك الإيحاءات فى صورتها النهائية عبارة عن نص أدبي يخضع لمعايير معينة فى اختيار الألفاظ والأسماء والصفات وغيرها من الأدوات التى تجعل النص لوحة منفردة غير مقلدة أو متداولة أو سهلة المنال، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم **(الرؤية السيمانطقية)** فى النص[1]، والبعض يفسرها بمعني **(النوعية الإيحائية)** التى تراعي استخدام مفردات اللغة وتخيل الصور الرائعة التى تخضع لبراعة اختيار المكان والزمان وتجسيد النص وكذلك تصوير الكائنات الخيالية الاسطورية وغيرها من الأمور الوصفية فى النص والتى تجعله منفردا. وتبدو أيضا أهمية **اللغة الرمزية** المختارة فى النص والتى كانت من أهم العناصر الشعبية التى تؤثر فى العامة، وبالتالي فإن اللغة الرمزية فى الإيحاء الديني كانت بمثابة رؤية فنية تخضع للتراكيب الثقافية القديمة المحيطة بالمبدع، فقد كانت اللغة الرمزية وخصائص تفسيرها السبيل لمرور النص الإيحائي لثقافة العامة بسهولة وتشويق معرفي، لذلك فإن حرفية تفسير الرمز لم تكن عائقاً على كاتب الإيحاء، بل أنها كانت أكثر أهمية وإعاقة على المفسرين . وتبدو خصائص التفسير الرمزي قائمة

---

(١) السيمانطقية تعني دراسة معاني الكلمات (الكلمة مشتقة مِنْ اليوناني "معنى هامّ، ومنه إشتقَّ σεμαντικοσ التى تعني إشارة)، وبشكل ما اعتبر هذا التعبيرِ ضرورة لدراسة معاني الكلمات الغامضة أو ذات المدلول مستتر، في هذه الحالة المشكل يخص التضمين المتخصص للمفردات خلال التكرار الهيكلي والسياقي والشفوي للكلمات التى يتضمنها النص الإيحائي، وتحاول الرؤية السيمانطقية تحديد ثلاث معاني للكلمة، معنى صريحة ومعني وجوبي، ومعني إلزامي، وهى المعاني الذي يتنقل بينها المفسر فى محاولة للوصول إلى المعنى الأصلي الذي قصده كاتب الإيحاء.

Elisabeth Schüssler Fiorenza, The Book of Revelation: Justice and Judgment (Philadelphia: Fortress Press, 1985)192-99; John R. Donahue, "Windows and Mirrors: The Setting of Mark's Gospel," (CBQ 57/1 1995)1-26.

دون شك على عنصر الإلقاء أو قوة التفسير المصاحب للإيحاء. ولكن من ناحية أخره يجب أن لا نغفل براعة الرؤية التمثيلية فى النص الإيحائي والتى تعتمد علي المفهوم العام لطبيعة الرموز المعبرة عنه، وبالتالي فإن أغلب الأعمال الإيحائية الدينية والغيبية تستخدم الرمزية الباطنية المجردة من خصائصها المعروفة للعامة أو مجردة من مكانها وزمنها الفعلي، فتصبح مقبوله فى جميع الأزمنة، وهى رموز تحمل فى تفسيرها قيمة من الفكر المثالي الذي كان دائما هدفا دينيا فى المجتمعات الشريرة حيث من الممكن للرمز أن يسهم فى إظهار القيم الأخلاقية للمجتمع، والتعاليم الدينية، والسبيل نحو العديد من الطقوس الدينية التى تعتمد على أفعال رمزية مغلفة برؤية إيحائية دينية.

الإيحاء والفن فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر :

نصوص الإيحاء فى تفسير لوحة (حضن الأب) (البانتوكراتور) Παντοκρατωρ من أهم وظائف الفن بصفة عامة هو أنه يعبر عن وجهة نظر الفنان الشخصية، فهو يسوق مجموعة من التعبيرات المنتظمة ويوظفها للتعبير عن موضوع يدور فى فكره وحده، ومن ثمة يحاول نقله للأخرين برؤية يستطعون إدراكها وفهمها. وبالتالي فإن الفنان هنا قد يشترك بصورة جوهرية مع صاحب الإيحاء الديني الذي تعرض لتجربة فكرية لاهوتية يحاول صياغتها وشرحها ونقلها للأخريين فى صورة نصية تحمل وصفا فنيا بارعا. وبما أن الفنّ فى خصائصه الجوهرية يناشد العواطف الإنسانية. فهو أيضا يثير المشاعر الجمالية والأخلاقية، حيث يمكن للفن أن يحمل صياغة المدينة الفاضلة من خلال التصورات والأبعاد المتصلة بها من أسطورة أو رمز أو وسائل إيضاح مختلفة يحاول من خلالها توصيل معاني مناسبة لثقافة المجتمع ومتناسقة معه. لذلك عندما تقرأ النصوص الإيحائية الدينية فى العهدين أو فى نصوص الأبوكرافيا، تجد رؤية فنية قائمة أما عن تجربة ومشاهدة فعلية (إيمانية) أو رؤية متأثرة بثقافات وأفكار

قديمة، أو إبداع نصي وقصصي له حبكة درامية تتفق وثقافة العصر ومجتمعه. وقد يكون النص الإيحائي الديني قد تعرض من قبل للعديد من المناقشات والتفسيرات اللاهوتية والفلسفية والنصية، ولكن القليل منهم من تناولوا النصوص الإيحائية من الناحية الفنية أو الرؤية الإبداعية فى تشكيل اللقطة الفنية للقصص المصورة نصيا داخل الإيحاء. ولكننا هنا لم نناقش كافة الصور الإيحائية فى جميع النصوص ولكننا سوف نتناولها من خلال تأثيرها على الفن المسيحي وخروج لوحة فنية متأثرة بالنص الإيحائي كمثال تفسيري يمكن تطبيقه على العديد من اللوحات الفنية التى ارتبطت بالنصوص الإيحائية، ولكننا فى هذا الصدد سوف نناقش أيقونة (حضن الأب) فى الفن القبطي كمثال تطبيقي لعمق تأثير نصوص الإيحاء على إبداعات الفن القبطي المرتبط بالطقوس الدينية فى مصر.

من العناصر المعمارية التى ارتبطت بفن التصوير الجدارى ارتباطاً مباشراً فى الفن المسيحي فى مصر كانت الحنية أو الشرقية أو ما يطلق عليها اسم "حضن الأب". والحنية فى مضمونها الجوهرى خاصة بالطقوس والعبادات والصلوات اليومية، ومن ثم كانت موضوعاتها المصورة دائماً بالفريسك فى مصر تحمل مفهوماً عقائدياً يواكب المذهب القبطى. وتبدو روح الموضوعات المصورة داخل الحنية بصفة عامة فى كونها تلخص مفهوم العقيدة المسيحية على نمط المذهب المصري، كما إنها تمثل ثقافة إيحائية مرتبطة بفن الإيحاء الديني المستمد من مجموعة نصوص دينية مختلطة تدعم الهدف المذهبي من الصورة. (١) من هنا جاءت

---

(١) وقد امتازت الحنايا فى الفن القبطى بتواجدها الدائم فى كافة المبانى الدينية على اختلاف وظائفها، ولهذا كان لابد من وجود اختلاف فى طبيعة حجم الحنايا وأيضاً فى الموضوعات المصورة بداخلها.

Van Mooresl, P., The Coptic Apse Composition and it's Living Creature, (Le Caire,1978), 523-333; Leory, J., La Peinture Murale chez les Captes, (Cario

1975), 32-39; Badaowy, A., L'Art Capte, Les influence Egyptinnes, Le Caire. 1949.30-33; Du. Bourgut, The Early Christian painting,(London 1965), 17-18.

أيقونة حضن الأب (ضابط الكل)[١] مثالاً للإبداع المصري الذي جسد نصا إيحائيا من سفر الرؤيا للنبي حزقيال[٢] يصور فيه المسيح جالسا على العرش المحمول فوق العربة النارية ويحيط به إثنان من الملائكة مع الرموز الأربعة غير المتجسدة، أسفل هذا التكوين نجد العذراء تقف وسط اثنين من الملائكة وحولهما مجموعة من الرسل والقديسين. ويبدو أن الفصل بين الجزيئين مهم من الناحية الفنية والمذهبية وذلك لأن الأيقونة تعبر عن ماهية السيد المسيح فى ناسوته ولاهوته[٣]. كما أن وجود السيدة العذراء يعطيها صفة شرعية فى المذهب المصري لكونها والدة الإله (الثيوتوكس) وحول رأسها هالة نوريه فى الجانب الأسفل الذي يعبر عن ناسوت المسيح[٤]. على أية حال، يجب تقسيم المنظر إلى أقسام محددة: منظر (ضابط الكل) ثم العرش أو الباب المفتوح إلى السماء لرؤية العرش، ثم الحيوانات الأربعة المجسدة، ثم رمزية الكتاب المغلق. وهى رموز دينية مستوحاة من نصوص الإيحاء المختلفة.

ويكمن الرمز الإجمالي للوحة فى تثبيت طبيعة منظر المسيح وعظمته كـ "ضابط الكل" أو (المسيح القوي المنتظر) طبقا لترجمة الأصل اليوناني للكلمة (سيد الكل) Παντοκρατωρ، ولهذا المصطلح أهمية طقسية كبرى فى الخدمة اليومية للكنائس القبطية. وفيها يظهر المسيح جالساً على العرش المحمول فوق مركبته النارية ويحيط به اثنان من الملائكة والرموز الأربعة غير المتجسدة. وهى من الصور الأولي التى ظهرت للسيد المسيح بوصفه اللاهوتي فى الكنسية القديمة.

---

(١) من أشهر لوحات (ضابط الكل) لوحة باويط المحفوظة فى المتحف القبطي، راجع

Cledat, Le, Monastere et Necropole de Baouit , (MIFAO= M. Bulletin de l'institut franxais d'archéologie orientale, XII, 1904), 87 pl. 20-23, 52.

(٢) حزقيال (١٦،١٣،١)

(3) Von. Moorsel, Forerunners of the Lord, The Meaning of Old Testament Saints in the Daily office and Liturgy reflected in Medieval Church decoration, (in Coptic Art and Culture, Cairo 1990).27-29.

(4) Quibell, J.E., Excavations of Saqqara, 1907, (Le Caire, 1909) 63-64. PL. XL, XLII.

ويحتمل أن تعود أصول المنظر إلى القرن الخامس الميلادي وبصفة خاصة أثناء وبعد الانقسمات المذهبية التى أثرت كثيرا فى اختيار الرموز وضرورة تفسيرها.

البحث فى الرموز المصورة فى صور (البنتوكراتور) نجدها تمثل المسيح وهو يحمل الكتاب المقدس (العهد الجديد) الأناجيل فى يده اليسري ويشير بيده اليمني بإصبعين علامة البركة الممنوحة للبشر. نجد السيد المسيح بصورة نصفية أو جالس على كرسي العرش، وهو ينظر مباشرة للمشاهد، وعادة ما كان يرتدي الزيّ التقليدي السترة(التونيكا) الزرقاء والعباءة (الهيماتيون) ذات اللون الأحمر القرمزي اللامع التي تشير إلى دمائه التى سالت من أجل الإنسانية. وهى كما وردت في نص (أشعيا ٦٣:١-٤) كانت حمراء. كما كان هناك تفسير أخر مرتبط بلون عباءة الجندي الرومانى التى وضعت على أكتاف السيد المسيح قبل صلبه كانت حمراء حسب نص (متى ٢٨:٢٧) (فَجَرَّدُوهُ مِنْ ثِيَابِهِ، وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيّا).

يحمل المسيح في يدّه اليسرى الكتاب المغلق وهو وسيلة مرور للنصوص الإنجيلية الصحيحة. وقد يرجع مفهوم تصوير الكتاب مغلقا إلى فحوي (إيحاء يوحنا) الذي يقول (رؤية ٥:٥) (وَلَكِنَّ شَيْخاً مِنَ الشُّيُوخِ قَالَ لِي: «لاَ تَبْكِ! قَدِ انْتَصَرَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي هُوَ أَصْلُ دَاوُدَ، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ أَنْ يَفْتَحَ الْكِتَابَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ)، والمقصود هنا أن المسيح (الأسد) القادم من نسل داود (راقيب على الكتب التوارتية الصحيحة) هو القادر على فتح وتعديل الكتاب المغلق (التوراة) وتصحيح مفاهيم العهد القديم لليهود، وبالتالي فإن الكتاب المغلق قد يحمل فى طياته كل الصحيح من الكتاب المقدس فى العهدين. كما يرى يوحنا أنّ أسد يهودا (انتصر لفتح الكتاب) كما أجمل الرؤية فى نص (رؤية ٥:٩)(مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ الْكِتَابَ وَتَفُكَّ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ، وَبِدَمِكَ اشْتَرَيْتَ لِلهِ أُنَاساً مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلُغَةٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ) وبالتالي ربط يوحنا بين مجئ المسيح ورسالته التى انتصرت على المفاهيم القديمة

وبين تضحيته التى جاءت من أجل بقاء هذا الكتاب، وبدون تضحية يسوع لا يستطيع الكتاب أن يستمرّ ويبقي، بل يظل مغلقاً.

على الجانب الأخر نجد رمزية ترتيب أصابع اليد اليمنى للمسيح والتى ترمز إلى المباركة الممنوحة والطمأنينة التى يهبها المسيح للمؤمنين، وهى أيضا تحديد شكلي ومثالي فى الحركة وفى ترتيب الأصابع، فنجد الإبهام والبنصر والخنصر منحنية إلى أسفل في هدوء وخشوع وهى تمثل خضوع البشر لناسوت المسيح على الأرض، وهى أيضا تمثل علاقته البشرية، بينما السبّابة والأوسط فى شكل عمودي منفرج. تلك الإشارة فى مجملها توحى بالنصر والطمأنينة الدينية كما أنها فى ذات الوقت رؤية عن خلاص المسيح وأنه قدوة لخلاص المؤمنين. تحيط برأس السيد المسيح فى منظر (البنتوكراتور) هالة مقدسة (تعرف فى النصوص العربية حديثا بالطاقة النورية اللإلهية) وهى خاصة برمزية القداسة، يوجد بداخلها بصفة دائمة بعد القرن الخامس الميلادي صليب يحمل بداخله علامتي A. ω التى تعني كينونة المسيح الأول والأخير، أو مفهوم المجيء الثاني فى التعاليم الروحية، ولكن الرمز منقول حرفيا من نص (رؤية يوحنا ٢١:١٣) (أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ). وهى إيحاءات فسرت لإثبات الذات الإلهية الكاملة فى المسيح وهو ما يبرر انتشار هذا الرمز فى الفن المصري خلال العصر البيزنطي ولا سيما على شواهد القبور وزخارف المنسوجات الجنائزية.

فى حين يحدد لنا الإصحاح الأول لرؤية حزقيال الإيحائية مع الرب في بلاد بابل أوصاف العربة النارية التى صورت فى منظر ضابط الكل، وهى رؤية فنية مستوحاة مباشرة من نص الإيحاء لحزقيال الذي يصف العربة النارية ليست بوصفها وسيلة الاتصال مع الرب، فهو أمر ثابت فى النص، ولكن أهمية استخدامها فى الفن والثقافة المسيحية نابع مع كونها تجسد لنا ولأول مرة حالة الصعود والهبوط الإلهي وهى المرحلة الغامضة على الفكر الإنساني بصفة عامة، فالعقلية البشرية تعتقد فى

غيبية رؤية الرب منذ الأزل، ولكن فى العهد المسيحي بات من الضرورة تفسير هبوط وولادة المسيح الإلهية ومشكلة صعوده ومجيئه، لذلك جاءت رؤية حزقيال تثبت وسيلة الانتقال وتؤكدها لإتمام الإيحاء، وبالتالي فإن تفسير العربة النارية داخل نطاق مفهوم صورة (البنتوكراتور) يؤكد مفهوم (سيد الكل) الذي يمتلك وسيلة صعوده وفى نفس الوقت يمتلك وسيلة هبوطه والمجئ الثاني، وهو بذلك يؤكد مفهوم المذهب المصري فى توظيف لغة الإيحاء لتكوين لوحة فنية تؤكد وتدعم مذهبه.

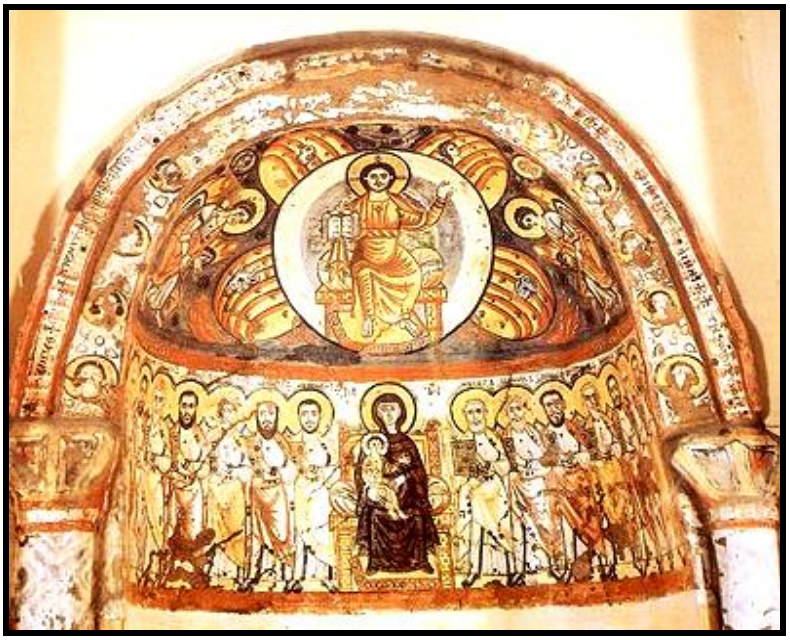

صور حنايا حضن الأب، من الحجرة الثامنة والعشرين فى دير القديس أبوللو باويط. القرن السابع الميلادي، المتحف القبطي

هذا المفهوم أيضا يقودنا إلى تفسير الكائنات الأربعة التى ذكرت فى نص حزقيال وصورت فى لوحات (البنتوكراتور)، فمن خلال اللوحات الفنية التى عثر عليها

فى أرميا وباويط وسوهاج وغيرها من مناطق الأثار المسيحية فى مصر نجد أن لوحة (البنتوكراتور) ضمت رمزية المخلوقات الأربعة المتجسدة طبقا لما جاء فى وصف حزقيال للمخلوقات الأربعة التى كان لها أربعة وجوه (إنسان، أسد، ثور، ونسر) وأربعة أجنحة. وهى تبدو من خلال الوصف كالمخلوقات المجنحة أو الملائكة الهجينة، ولكنها أيضا تقع ضمن كينونة الخدم القدسي للرب، كماكان الوصف فى النص الإيحائي (حزقيال ١، ١٤:٦). نجد أن الرؤى الإيحائية لوصف الملائكة المجنحة والتى نقلت من النصوص التوراتية لحزقيال وأشعيا ودانيال ارتبطت أيضا بنصوص رؤية يوحنا التى تؤكد أن السيد المسيح فى النصف العلوي من اللوحة جالس على عربة نارية ومحاط بالمخلوقات الأربعة المجنحة السيرفيم والشاروبيم. وفي الخلفية السماء مليئة بالنجوم، وملاكان يشخصان الشمس والقمر فى صورة نصفية كتقليد كلاسيكي من العصر القديم وهما يمثّلان الخلود أو مفهوم الأبدية الإلهية غير قابلة للتغيير، وبالتالي فإن الرؤية هنا قد تعتمد على تجسيد حقيقي لوصف النص بمدركات العقلية البشرية وهو ما يمكن مقارنته من خلال اهتمام النص بالتركيز على وصف العجلات لا العربة، والإشارة للنيران المنبعثة من حركة العجلات تجسيدا لقوة تحركها وتفاعلها. على الجانب الآخر نجد النصف السفلي من تلك اللوحات الفنية يصور السيدة العذراء مريم تقف بين الحواريين فى وضع التضرع أو الصلاة أو التكريس أو تحمل الطفل الرضيع السيد المسيح وهى جالسة على العرش الأرضي. نجد أن الربط بين النصفين أمر ضروري يقترح الصلات بين الرؤية الإيحائية وبين حادثي موت وإحياء السيد المسيح، وهو المفهوم المقصود البحث عنه وفيه من خلال نصوص الإيحاء فى العهد القديم، كما أنه من أهم مقومات الاهتمام بنص رؤية حزقيال.

معظم النصوص التوراتية التى تعاملت مع موضوع العربات السماوية لم تقدم الرؤية المتكاملة فى وصف هذا الاتصال وتأكيده كما وصفته بدقة رؤية حزقيال الذي يصف ظهور أربعة أجسام سماوية "مخلوقات حيّة" (وصف مجهول)، "قحم حجري

محترق من النار" (وصفه منهم كفحم حجري بلون كهرمان ناري أو على مستوى وصف الأجرام السماوية)، "عجلات ضمن عجلات" (وصف حركي يفيد السرعة)، و"ملائكة" (تأكيد على كون العربات خاصة بالملائكة "عربات الملائكة"). بينما نجد وجهة نظر الثقافة التوراتية السائدة في الأدب التفسيري المبكر تصف الأربعة الأجسام حزقيال "ملاك مجنّح "، وبالتالي إذا كان الملاك مجنحاً وهى وسيلة تحركه وانتقاله عبر السماء، فما هى أهمية العربة النارية؟ هذه الملاحظة ذهبت بنا إلى اعتبار أن العربة هى (رؤية اعتبارية) ليست من أجل الاتصال الملائكي بل هى وسيلة اتصال إلهي– بشري، فهى (عربة الأمر الإلهي) ومن ثمة فهى عربة الإله الاعتبارية التى من خلالها جاء الأتصال الإلهي بموسي وغيره من الأنبياء كما جاء فى مزمور ٦٨:١٧–١٨) (عربات الله ربوات ألوف مكررة؛ الرب فيها، سيناء فى القدس، صعدت إلى العلاء). وهى أيضا الرؤية التى تجسد حالة جلوس المسيح على العرش وفوق العربة النارية فى رؤية اعتبارية ليس المقصود منها الهبوط أو الصعود كما فسرت فى أغلب الأحيان ولكنها فى مجمل وصفها تجسد الكيان الإلهي للمسيح سواء على الأرض أو فى السماء وهو ما يحقق التفاعل المقصود بين النص الإيحائي وضرورة استخدامه وتوظيفه فى الثقافة المسيحية المبكرة فى مصر ليعبر بحق عن مضمون المذهب المصري المسيح ذو الطبيعة الواحدة فى الأرض والسماء.

الخلاصة :

هكذا يبدو من خلال هذا العرض التعريفي لثقافة النصوص الإيحائية فى العهديين اليهودي والمسيحي أن الفترة ما بين نهاية القرن الأول وحتى نهاية القرن الثاني فترة مليئة بالفكر الديني العشوائي الذي غلب عليه قضية أساسية واحدة فى الصراع اليهودي والمسيحى والمتصلة بخاصية الاتصال الإلهي الإنساني وما ينتج عن هذا الاتصال من رؤي تفيد معرفة المستقبل المحتوم، أو تزيد من عمق وقوة ظاهرة الخلاص، ويبدو أن طبقة العارفين والقديسين والمعلمين اللاهوتيين كانوا

يدركون احتياجات شعوبهم بتلك الأمور التى قد تتفق مع موروثهم الشعبي من عادات وتقاليد مثل السحر والشعوذة، وبالتالي جاءت النصوص الإيحائية تجمع بين المطلبات الدينية والعقائدية المتصارع عليها بين اليهودية والمسيحية، وبين الرغبات الشعبية البسيطة فى الاطمئنان على مستقبلهم مع تلك الديانة التى اعتنقوها وعاشوا غموضها وتفاسيرها المختلفة، بل وتقبلوها على هذا النمط من الغموض وكم الأسرار الذي يتصل بالعارفين فقط دونهم. ولكن من ناحية أخري، فإن النصوص الإيحائية فى اسهمت كثيرا فى التكوين الثقافي المسيحي المصري فى العصر الروماني المتأخر والبيزنطي المبكر، وذلك من خلال أنتشار المفاهيم الروحانية على نطاف العلم الروحاني ذاته ونمو تفكيره وحالة الإبداع فى نصوصه طبقا للاحتياجات العقائدية، كما أن تأثير تلك النصوص على العامة كان مهما من حيث التناول العقائدي ومنطقية الغموض المحيطة بالعديد من النقاط المهمة فى العقيدة، وبالتالي ظهور تلك النصوص بهذا الكم من الغموض أوجد (منطقية الغموض) وضرورة قبول المفاهيم الغيبية والإيمان بها دون مناقشة، ويبدو أن هذا الأمر كان حركة انتقال وصراع بين الغنوسية والمسيحية العالمية، وهو يلخص أن العقيدة ومخصصاتها فى قاعدة الإيمان أولا ثم المعرفة، بينما القاعدة الغنوسية كانت تهتم بالمعرفة التحليلية التى تؤدي إلى الإيمان، وكلاهما بطبيعة الحال شارك كما أوضحنا فى نمو النص الإيحائي فى مصر بصفة خاصة، بل وشاركا معا فى تعريف للوضع الثقافى المتداول فيها حتى ولو كان على نطاق ضيق فى القرنين الثاني والثالث الميلاديين إلا أنه بعد الاعتراف بالمسيحية فى القرن الرابع انتشرت الثقافة الجديدة على تلك القواعد الثقافية السابقة من خلال قبولها أو رفضها. ولعل كم المصادر الإيحائية التى عثر عليها فى مصر تؤرخ مساحة زمنية كبيرة تصل من برديات ترجع إلى منتصف القرن الثاني وحتى تلك المخطوطات الغنوسية التى عثر عليها فى نجع حمادي وترجع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، فهى بحق شواهد على جانب من جوانب الثقافة المصرية فى تلك الفترة.

* * *